

حقيقة لاهوت

يسوع المسيح

جوش ماكدويل و بارت لارسون

حقيقة لاهوت يسوع المسيح

© الناشر: هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة
ص . ب ١٠٣٨ الإسكندرية
الرمز البريدي ٢١١١١ - مصر
طبعة ثانية
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥٦٧
الترقيم الدولي: 977-387-045-6
التحرير والإعداد الفني: إيجلز جروب

مقدمة الناشر

في بداية دراستي للمسيحية، كنت أهدف إلى تأليف كتاب يهزأ بها ويسخر منها. كنت أعتقد أنني سأتعامل إما مع أيديولوچية (عقيدة) لاهوتية أو مع فرضية فلسفية صيغت في تعابير واصطلاحات لاهوتية. لم تكن المسيحية بالنسبة لي إلا ديانة مؤسسة على تعاليم مؤسسها، وكنت أعتقد أنها تحوي مبادئ دينية بسيطة يحيا بها المرء، أو مقياسًا يحاول الوصول إليه.

غير أنني اكتشفت، بعد بحث موسع، أن المسيحية ليست دينًا يحاول فيه الناس رجالاً ونساءً أن يصلوا إلى الله من خلال أعمالهم الصالحة، وأنها ليست طاعة لنمط من أنماط الطقوس الدينية. بل هي بالأحرى علاقة مع الله الحي من خلال ابنه يسوع المسيح. وما أدهشني أنني وجدت شخصًا لا دينًا.. هذا الشخص قال أقوالاً، وفعل أفعالاً، وأطلق تصريحات مذهلة عن نفسه، مع مطالب عميقة بعيدة المدى على حياتي. كان يسوع مختلفًا عن كل ما توقعته؛ فبينما القادة الدينيون الآخرون يقدمون تعاليمهم ويضعونها في الواجهة يقدم يسوع نفسه أولاً! كان القادة الآخرون يسألون: "ما مدى استجابتكم لتعاليمي؟" أما يسوع فكان يسأل: "ما هي علاقتكم بي؟"

قادني صراعي الشخصي إلى مواجهة مع شخص- يسوع المسيح. لكن هل كان فعلاً كما قال عن نفسه؟

لقد بينت في مؤلفاتي الأخرى (برهان يتطلب قرارًا، أعظم من نجار، عامل القيامة، إلخ...) بعض البراهين الكتابية والتاريخية التي أقنعتني أن يسوع المسيح هو ابن الله. لقد أحسست منذ كتابتي لهذه المؤلفات أن هناك حاجة لكتاب يركّز على ما يقوله يسوع في الكتاب المقدس الذي يؤكد أنه الله الذي صار إنسانًا. دعوني أعرض لكم مع زميلي بارت النتائج التي تصولنا إليها في دراستنا.

جوش ماكدويل

المحتويات

الفصل الأول

يسوع المسيح هو الله

لو طلب أحدهم من مجموعة من الخبراء الدينيين الذين ينتمون إلى عقائد أو ديانات مختلفة أن يشاركوا في ندوة عن طبيعة الله وكيفية إعلانه عن ذاته، لحصل على آراء مختلفة تصل في عددها إلى عدد هؤلاء الأشخاص، وسوف تتناقض إجابات البعض مع إجابات الآخرين. وإذا افترضنا أن الحقيقة غير نسبية، فلا يمكن أن تكون جميع هذه الإجابات صحيحة. على سبيل المثال إذا قال أحدهم بأن الله إله شخصي، وقال آخر بأنه غير شخصي فمن الواضح أن أحدهما مخطئ. فمَنْ يستطيع أن يقول القول الفاصل عن طبيعة الله؟ لابد أن يكون هذا الشخص الوحيد هو الله نفسه.

لكن ماذا يحدث لو وقف أحد هؤلاء الأعضاء المشاركين في الندوة وقال: "حتى أُزيل كل هذا الارتباك وسوء الفهم حول الله، فأنا أُعلن لكم أني أنا الله! أنا هو الطريق والحق والحياة!"

يدخل بنا مثل هذا الزعم إلى دائرة الأمور التي يمكن التحقق منها. فإما أن يكون هذا الشخص مصابًا باضطراب عقلي -مثل أن يعاني من جنون العظمة- وإما أن يكون مخادعًا يحاول أن يجعل الناس يصدقون أكبر كذبة في التاريخ، وإما أن يكون هو الله بالفعل.

هذا هو ما قاله يسوع عن نفسه تمامًا، فليس في مقدورنا أن نقول إن يسوع كان «مجرد» إنسان صالح، أو «مجرد» معلِّم صالح. فالمعلِّمون الأخلاقيون الصالحون لا يكذبون، سواء كانوا متعمدين أو غير متعمدين خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بكونهم الله العلي. كذلك فهؤلاء لا يجعلون أنفسهم موضوعًا للإيمان والعبادة، ويجعلون ألوفًا لا تُحصى من الناس تموت من أجل إيمانها باسمهم. دعونا نضع هذه الأفكار نصب أعيننا ونحن ندرس بعض الطرق التي يمكننا بواسطتها أن نقرر ما هو حق بالنسبة لله.

الله مُعلَن

يؤمن مؤلفا هذا الكتاب بأن الله أعلن عن نفسه بطرق متنوعة، لكن يمكن اختبار كل طريقة منها اختبارًا موضوعيًا من خلال أسمى إعلانين له، وهما: الكتاب المقدس، وشخص يسوع.

فيما يتعلق بالكتاب المقدس، فإنه يختلف عن غيره من الكتابات المقدسة الأخرى في أنه يقول بشكل قاطع لا يحتمل اللَّبس إنه وحده كلمة الله. ومعظم الأشخاص المهتمين بموضوع ألوهية المسيح يقبلون الكتاب المقدس كوحي من الله، ولهذا سوف نفترض، لأغراض كتابنا هذا، أن الكتاب المقدس موثوق به تاريخيًا، وأنه كلمة الله لنا، وأنه الدليل الوحيد الصادق لتحديد ما إذا كان المسيح بالفعل هو الله المتجسد أم لا.

لنكن صريحين حول سبب إحساسنا بأهمية هذه النقطة بالذات.. فالغالبية العظمى من الجماعات التي تُنكر لاهوت المسيح، على الرغم من امتداحها للكتاب المقدس امتداحًا شفويًا غير قلبي، تضع عادة كُتبها المقدسة في نفس مركز الكتاب المقدس أو فوقه. وبهذا يفكر هؤلاء نفس ما يدّعون الإيمان به، ألا وهو المصدر التاريخي الرئيسي لكل تعاليم يسوع، العهد الجديد.

لماذا تدّعي أنك مسيحي، أو متعاطف مع المسيحية إلا إذا كنت مستعدًا لتصديق ما علّمه يسوع حقًا؟

يقول بعضهم بأنه تم تلطيف أو تخفيف الكتاب المقدس عبر القرون مما خلق حاجة لظهور إعلانات جديدة ضرورية. غير أن هذا موقف لا يمكن الدفاع عنه أيضًا. فهناك ما يزيد عن ٢٤٦٠٠ مخطوطة جزئية أو كاملة من مخطوطات العهد الجديد. (ثاني أفضل مخطوطة تاريخية موثقة هي «الإلياذة والأوديسا» التي كتبها هوميروس. وليس هناك منها إلا ٦٤٣ مخطوطة فقط). وحتى لو دُمرت كل مخطوطات العهد الجديد، فإنه بإمكاننا إعادة تجميع أو صياغة كل العهد الجديد، باستثناء حوالي إحدى عشر آية، من كتابات آباء الكنيسة الأولى قبل عام ٣٢٥م. كذلك فحتى المؤرخون غير المسيحيين ملزمون للاعتراف بأن الكتاب المقدس، حسب كل المقاييس العلمية والتاريخية المطبقة على أية وثيقة تاريخية، دقيق بنسبة تزيد عن تسع وتسعين في المائة.. فيمكن لأي شخص أن يختلف مع رسالته، لكن ليس مع صحته تاريخيًا.

يصرّح الكتاب المقدس بأنه صاحب السلطان الأخير في تقرير الأمور العقائدية الصحيحة؛ إذ يقول الوحي الإلهي في رسالة تيموثاوس الثانية ٣: ١٦-١٧ «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهبًا لكل عمل صالح.» ويعتقد المسيحيون أنه يجب رفض أي كتاب أو تعليم من شأنه تغيير مضمون الكتاب المقدس. وتؤكد كلمة الله هذه النقطة، إذ كتب يهوذا (آية ٣) قائلاً: «أكتب إليكم واعظًا أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسَلَّم مرة للقديسين.» ولا يسمح الكتاب المقدس بوجود أية تعاليم أخرى من شأنها أن تغير من الكتاب المقدس أو تضيف إليه. يقول بولس رسول المسيح: «ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما (ملعونًا)» (غلاطية ١: ٨) قارن أيضا رؤيا ٢٢: ١٩، مع تثنية ٤: ٢) «وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب في هذا الكتاب.»

فإذا أرادت مصادر أخرى أن تدّعي لنفسها الوحي الإلهي كما يفعل الكتاب المقدس، فإن عليها قبول أن تقاس في ضوء الكتاب المقدس، فالله لا يمكن أن يناقض نفسه. وهكذا لا يجب أن يتناقض أي شيء مما كتبه أو قاله الأشخاص الذين جاءوا بعد المسيح مع ما قاله الكتاب المقدس الذي نعرف

أنه صحيح. وإذا حدث مثل هذا التناقض، فإنه يصبح واضحًا لنا أنهم لا يتكلمون بوحي من الله سواء كان ذلك كتابةً أو شفاهةً.

وفي دراستنا لألوهية المسيح، فإن القضية ليست ما إذا كانت ألوهية المسيح أمرًا يسهل الإيمان به أو حتى فهمه، لكن القضية هي ما إذا كانت كلمة الله تُعلّم هذا الأمر أم لا. فإذا بدت لنا الفكرة لأول وهلة غير متفقة مع المنطق أو الفهم البشري فذلك لا يلغي بشكل تلقائي إمكانية صحتها. فعالمنا مليء بأشياء يصعب علينا كبشر فهمها الآن (كالجاذبية الأرضية وطبيعة الضوء) لكنها تظل صحيحة وحقيقية. يُعلِّم الكتاب المقدس أن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب الله (أيوب ١١: ٧؛ ٤٢: ٢-٦؛ مزمور ١٤٥: ٣؛ إشعياء ٤٠: ١٣؛ ٥٥: ٨، ٩)؛ «لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم.»، كما يقول في رومية ١١: ٣٣-٣٦: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء؛ لأن مَنْ عرف فكر الرب أو مَنْ صار له مشيرًا أو مَنْ سبق فأعطاه فيكافأ؛ لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد.. آمين.» لهذا يجب أن يسمح لله بأن يقول الكلمة الفاصلة عن نفسه، سواء استطعنا أن نفهم ما يقوله فهمًا كاملاً أم لا.

يقول الكتاب المقدس فيما يتعلق بإعلان الله عن نفسه في شخص يسوع في عبرانيين ١: ١-٣:

> «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته».

يسوع المسيح هو كلمة الله الحي، وهو في شخصه يعلن الآب لنا ويجعله أكثر وضوحًا. فعندما طلب منه أحد أتباعه قائلاً: «أرنا الآب وكفانا» أجاب يسوع: «أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني...؟ الذي رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٨-٩). كما دعى بولس يسوع «صورة الله غير المنظور» (كولوسي ١: ١٥). وهكذا فإن النظر والاستماع إلى يسوع بمثابة النظر والاستماع إلى الله.

ما هي القضايا المطروحة؟

إذا كان المسيح هو الله في هيئة إنسان، فإنه دون غيره من رجال التاريخ، يستحق إصغاءنا وإجلالنا بل عبادتنا. فهذا يعني أن الله الذي خلق المجرات والسديم والنجوم ونثر ألوف الشموس في الفضاء، أصبح إنسانًا عاش ومشى على أرضنا، ومات على أيدي خليقته. وهذا يعني أيضًا أن موته أكثر بكثير من مجرد موت إنسان صالح. لأنه سيكون اسمى ذبيحة على مر العصور تُظهر محبة لا يمكن سبر غورها، أو استقصاء أبعادها. وأن تعاملنا مع يسوع على أنه مجرد إنسان (أو حتى إله) تحت هذه الظروف سيكون تجديفًا. وإذا لم يستطع المرء أن يُكيف حياته حسب تعاليمه، فإن هذا يعني أن معنى الحياة سيفوته.

ومن ناحية أخرى، إذا لم يكن يسوع هو الله، وكان مجرد كائن أدنى من الله فيمكن للمرء أن يشعر بالعرفان له من أجل حياته وموته وتعاليمه. لكن توجيه العبادة له سوف يكون خطأً جسيمًا؛ لأنه في هذه الحالة سيصبح صنمًا يحتل مكان الله.. والكتاب المقدس واضح حول موضوع عبادة الأصنام والأوثان. فالله يقول بأنه لا يعطي مجده لآخر «أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات» (إشعياء ٤٢: ٨؛ ٤٨: ١١)، وبأنه ليست هناك أية آلهة غيره (إشعياء ٤٥: ٥، ٢١، ٢٢؛ إرميا ١٠: ٦؛ ١كورنثوس ٨: ٤-٦)، وبأن علينا أن نعبد الله وحده (تثنية ٦: ١٣، ١٤؛ متى ٤: ١٠). إذًا، فإما أن يكون يسوع هو الله أو لا يكون، وإما أن يكون الإيمان به على نحو خاطئ سيكون إما شكلاً من أشكال التجديف أو عبادة الأوثان.

كذلك يمكن أن يصبح النقاش أكثر تعقيدًا اعتمادًا على ما تعلّمه الشخص، ويمكن أن تُقدم الحجج على ألوهية المسيح أو ضدها. فمثلاً إذا عُلِّم شخص بأن الله هو شخص، أو أقنوم واحد، وأن يسوع المسيح كائن مخلوق فسوف يخبر هذا في قراءته الأولى للكتاب المقدس نصوصًا تدعم هذا الموقف. لكن، إذا عُلّم هذا الشخص بأن الله كائن سامٍ له أقانيم الآب والابن والروح القدس، وبأن الابن تخلى عن مركز المساواة ضمن الذات الإلهية ليصبح إنسانًا في شخص يسوع المسيح، فسوف يجد فقرات كتابية تُدعِّم هذا الموقف.

إذًا القضية ليست أي موقف منهما يمكن الدفاع عنه بوضوح، بل هي بالأحرى أي موقف منهما تدعمه أفضل الأدلة، وأي موقف منهما هو ما يعلمه لنا الكتاب المقدس.

في اعتبارنا لكلا الموقفين، فإننا نؤمن بأننا قادرون على إعطاء ردود أكثر من كافية على جميع الآيات المستخدمة للتدليل على أن يسوع هو الله. وسنُظهر أن الكتاب المقدس ينسب للمسيح كل اسم رئيسي وصفه ولقب مما ينسبه لله، ومن الكتاب المقدس نثبت أن يسوع قَبِل العبادة، ووُجهت إليه الصلوات، ونقدِّم ردودًا على كل الحجج المضادة الرئيسية. وسنُوَثق من تاريخ الكنيسة (قبل مجمع نيقية في عام ٣٢٥م، وأصبح الإيمان بألوهية المسيح منذ انعقاده هو الفكر الرسمي للكنيسة) بأن الإيمان بألوهية المسيح كان دائمًا وأبدًا هو الفكر التقليدي المستقيم.

ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون كلا الموقفين صحيحًا. وكان من الممكن أن يكون الأمر أكثر سهولة لو كانت القضية مجرد قضية إخلاص، لكنها ليست كذلك. فهي قضية أي الموقفين هو الصحيح.. «لأنني أشهد لهم أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة» (رومية ١٠: ٢).

تعريف المصطلحات

إن وجود تعريفات صحيحة لطبيعة الله، وطبيعة الثالوث، وشخص يسوع المسيح وطبيعته شرط مُسبق ضروري لفهم كثير من الفقرات الكتابية المتعلقة بألوهية المسيح.

(١) **الله**: يقول الكتاب المقدس بأن الله كائن ذو وجود شخصي، وهو عاقل ومحب وعادل وأمين وأبدي وخالق، وأنه في تفاعل حيوي مع خليقته. ويمكن تلخيص صفات الله إلى مجموعتين: صفات جوهرية، وصفات أدبية أخلاقية. يقول روبرت باسا نتينو: "إن الله (حسب صفاته العامة) فريد، وأبدي، وغير متغير، وكُلي القدرة، وكُلي العلم والوجود، وثالوثي الأبعاد، وهو روح، وذو وجود شخصي." ويضيف بأن "صفات الله الأدبية الأخلاقية تتضمن قداسته وبره ومحبته وحقه." وتُعلِّم المسيحية

بأن الله يحفظ الكون ويضبطه بشكل كامل السيادة وأنه، كما سنُبين، تجسد في شخص يسوع الناصري.

(٢) **الثالوث**: من بين كل ما هو واقع وموجود الله وحده ثلاثي الشخصية أو ثالوثي. وحين نقول إن الله ثالوث فإننا بذلك نعطي وصفًا لنظرة الكتاب المقدس إلى الله، تلك النظرة المشتقة من مشاهد متلاحقة من الفقرات الكتابية التي تصف طبيعة الله الشخصية. ونعني بكلمة ثالوثي، التي نشتق منها مصطلح الثالوث الأقدس، بأن الله يُعلن ذاته باستمرار على أنه موجود منذ الأبد في ثلاثة أقانيم (أشخاص): الآب، والابن، والروح القدس. وتكون الأقانيم الثلاثة الذات الإلهية أو الله، غير أنه لا يوجد إلا إله واحد.

بذلك نحن **لا** نعني ما يلي:

أ- هناك إله واحد وثلاثة آلهة.

ب- هناك إله واحد وأقنوم واحد بثلاثة أسماء، أو حالات يتجلى فيها.

ج- هناك إله واحد وأقنوم واحد صار ثلاثة أقانيم منفصلة متتابعة.

د- هناك ثلاثة آلهة يشكلون عائلة واحدة.

هـ- هناك إله واحد مصاب بانفصام الشخصية.

ويمكن تلخيص عقيدة الثالوث الأقدس الكتابية كما يلي: الله الحقيقي الواحد كما هو واضح في إشعياء ٤٣: ١٠؛ تثنية ٦: ٤، هو الآب والابن والروح القدس، وكل عضو في الذات الإلهية هو "الله".. فالآب يحمل اسم "الله" (غلاطية ١: ١؛ تيطس ١: ٤). والابن أو الكلمة يُسمى بشكل متكرر "الله" في يوحنا ١: ١، ١٤؛ أعمال ٢٠: ٢٨؛ تيطس ٢: ١٣؛ عبرانيين ١: ٨، والروح القدس يُعرَف على أنه "الله" في مواضع مختلفة من الكتاب المقدس (أعمال ٥: ٣، ٤؛ ١يوحنا ٤: ٢، ٣؛ عبرانيين ١٠: ١٥، ١٦). ونرى مفهوم الوحدة ضمن الثالوث في آيات مثل متى ٢٨: ١٩، حيث يشكل الآب والابن والروح القدس "اسمًا واحدًا" (بصيغة المفرد في اللغة اليونانية).

لكن هدف هذا الكتاب، لا أن نحاول الدفاع عن عقيدة الثالوث الأقدس. فعندما يؤمن المرء بلاهوت المسيح، لا يصبح الإيمان بوجود الله كالآب والابن والروح القدس في العادة مشكلة. أما بالنسبة للشخص الذي يريد أن يبحث

فيما يقوله الكتاب المقدس عن الثالوث فهناك آيات كثيرة يمكن دراستها، ونذكر منها عددًا قليلاً (متى ٣: ١٦، ١٧؛ مرقس ١: ٩-١١؛ أعمال ٢: ٣٢، ٣٣، ٣٨، ٣٩؛ رومية ١٥: ١٦، ٣٠؛ ١كورنثوس ١٢: ٤-٦؛ ٢كورنثوس ٣: ٤-٦؛ ١٣: ١٤؛ أفسس ١: ٣-١٤؛ ٢: ١٨-٢٢؛ ٣: ١٤-١٧؛ ٤: ٤-٦؛ ٢تسالونيكي ٢: ١٣، ١٤؛ ١تيموثاوس ٣: ١٥، ١٦؛ عبرانيين ٩: ١٤؛ ١٠: ٧، ١٠-١٥؛ ١بطرس ١: ٢).

(٣) **يسوع المسيح**: «يسوع المسيح» اسم ولقب في نفس الوقت. اسم يسوع مشتق من الصيغة اليونانية للاسم «يشوع» الذي يعني «الله المُخلِّص»، أو «الرب يُخلص». ولقب المسيح مشتق من الكلمة اليونانية للمسيا (أو يسوع المسيح: مشتق من الصيغة العبرية - دانيال ٩: ٢٦) وتعني «الممسوح». ويتضمن استخدام لقب المسيح وظيفتين هما الملك والكاهن. ويُشير هذا اللقب إلى يسوع كالكاهن الموعود، والملك في نبوءات العهد القديم.

كما نؤمن أن ليسوع طبيعتين: بشرية وإلهية، وهكذا فإننا نؤمن بأن يسوع كامل الألوهية (في طبيعته) وكامل الإنسانية.. فهو الله الذي ظهر في هيئة بشرية.

ويصف الكتاب المقدس طبيعة يسوع كإله وإنسان معًا على النحو التالي:

> «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجِد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَنْ في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (فيلبي ٢: ٥-١١).

سنحاول بعد هذه التعريفات لله والثالوث ويسوع، أن نجيب عن سؤال آخر قبل أن نبدأ في دراسة البراهين الكتابية على ألوهية المسيح.

لماذا أصبح الله إنسانًا؟

كيف يمكن لكائنات بشرية محدودة مثلنا أن تفهم الله غير المحدود؟ من الصعب على أي منا أن يستوعب معاني أو أفكارًا مجردة مثل: الحق، أو الخير (الصلاح)، أو الجمال بدون وجود أمثلة منظورة لها. فنحن نعرف الجمال عندما نراه في شيء جميل، والصلاح عندما نراه مُركّزًا في شخص صالح، وهكذا. لكن بالنسبة لله، كيف يمكن لأي شخص أن يفهم طبيعته؟

يمكننا ذلك إلى حد ما إذا قام الله بطريقة ما بتحديد نفسه في شكل إنسان يمكن للكائنات البشرية أن تفهمه. وعلى الرغم من أن هذا الإنسان لن يعبِّر عن أبدية الله ووجوده الكُلي لعدم توفر الوقت، أو المجال لذلك فإنه سيستطيع أن يُعبِّر تعبيرًا منظورًا عن طبيعة الله. هذه هي رسالة العهد الجديد، قال بولس عن المسيح: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا» (كولوسي ٢: ٩). لقد أصبح يسوع إنسانًا حتى يتمكن البشر من أن يفهموا الله اللامتناهي، ولو بقدر محدود.

هناك سبب آخر جعل الله يختار أن يصبح إنسانًا، وهو أن يعبر الهوة بين الله والجنس البشري. فإذا كان يسوع المسيح إنسانًا فقط، أو مجرد كائن مخلوق، لبقيت تلك الهوة الواسعة السحيقة بين الله والإنسان، بين اللامحدود والمحدود، بين الخالق والمخلوق، بين القدوس والفاجر. فما كان لنا أن نعرف الله لو لم ينزل إلينا، وما كان في مقدور أي كائن مخلوق أن يعبر الهوة الهائلة بين الله والبشر، أكثر مما هو في مقدور قطعة فخار أن تطمح إلى فهم الفخاري الذي صنعها، والوصول إلى مستواه. لقد نزل الله إلينا مدفوعًا بمحبته، لأنه أراد أن يفتح طريقًا به يعطي مجالاً لجميع الناس أن يعرفوه.

الفصل الثاني

يسوع المسيح
له أسماء الله وألقابه

إن أقوى دليل على ألوهية المسيح هو ما أثار سخط معاصريه أنفسهم.. فقد اتخذ لنفسه كل الأسماء والألقاب التي ينسبها العهد القديم لله، وسمح للآخرين أيضًا أن يدعوه بنفس الأسماء والألقاب. وعندما أطلق يسوع على نفسه الأسماء الخاصة بالذات الإلهية، غضب رؤساء اليهود لدرجة أنهم حاولوا قتله بتهمة التجديف. ولم يكن لدى السلطات اليهودية أي شك فيما رمى إليه المسيح؛ فقد فهموا أن هذا المعلِّم الجليلي يدّعي أنه الله العلي.

ويمكن للمرء أن يعترض هنا قائلاً بأن اتخاذ يسوع لهذه الألقاب الإلهية لم يجعله واحدًا مع الله أو الله نفسه.. فقد يكون لعدة أشخاص نفس الاسم أو اللقب. وقد يكون «فوزي» مثلاً رجلاً وزوجًا وصديقًا ومساعدًا لمدير المبيعات في نفس الوقت، غير أن بعض الأسماء والألقاب مقصورة على شخص واحد فقط.

فمثلاً، لا يمكن أن يكون هناك في نفس الوقت إلا رئيس واحد للولايات المتحدة الأمريكية. وهناك كثير من الأسماء والألقاب التي يطلقها الكتاب المقدس على يسوع من النوع الذي لا يحق إلا لشخص واحد أن يدعيه لنفسه- وهو الله.

يهوه

اتخذ يسوع لنفسه اسمًا من أسماء الله يوقّره اليهود أكثر من غيره، ويعتبرونه مقدسًا لدرجة لا يجرؤ معها اليهودي على النطق به.. ألا وهو يهوه. وقد كشف الله لشعبه معنى هذا الاسم في الأصحاح الثالث من الخروج؛ فعندما سأل موسى الله بأي اسم يدعوه أجاب الرب: «أهيه الذي أهيه». وقال: «هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه الذي أرسلني إليكم» (خروج ٣: ١٣، ١٤).

والاسم «أهيه» ليس نفس الاسم «يهوه». غير أنه مشتق من صيغة الفعل «يكون»، الذي يشتق منه أيضًا اسم «يهوه» في خروج ٣: ١٥، وهكذا فإن لقب «أهيه» الذي أهيه الذي كشفه الله لموسى تعبير أشمل عن كينونته الأبدية، اختُصِر في العدد ١٥ إلى الاسم الإلهي «يهوه». وفي الترجمة السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم العبري، تُرجم أول استخدام لتعبير أهيه في خروج ٣: ١٤ إلى ego eimi. كانت اللغة اليونانية هي لغة الحديث في زمن يسوع، وهي اللغة التي كُتب بها العهد الجديد.

وهكذا فقد كانت الصيغة التوكيدية لأهيه ego eimi في اللغة اليونانية في زمن يسوع معادلة لكلمة يهوه العبرية. واعتمادًا على السياق، فإنها يمكن أن تكون طريقة توكيدية لقول «أنا هو» (كما في يوحنا ٩: ٩)، أو يمكن أن تكون اسم الله نفسه، أهيه الأبدي.

استخدم يسوع تعبير ego eimi عدة مرات عن نفسه بطريقة لا تليق إلا بالله. وأوضح مثال لذلك هو عندما قال اليهود ليسوع: «ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟» قال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم "أنا كائن" ego eimi. فرفعوا حجارة ليرجموه» (يوحنا ٨: ٥٧-٥٩). لقد سعى اليهود إلى قتله لأنهم فهموا ادعاءه الألوهية. فالعهد القديم كان واضحًا في هذا الأمر. إذ كان عقاب التجديف هو الرجم حتى الموت (لاويين ٢٤: ١٦).

اتخذ يسوع لنفسه هذا اللقب في مواضع أخرى، فقد صرّح يسوع في موضع سابق من نفس الأصحاح «إن لم تؤمنوا أني أنا هو ego eimi تموتون في خطاياكم» (يوحنا ٨: ٢٤). ولا تظهر كلمة هو في النص اليوناني، حيث جاءت كالتالي: «إن لم تؤمنوا أني أنا تموتون في خطاياكم». كما قال لليهود: «متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو ego eimi». ومرة أخرى فإن النص اليوناني الأصلي لا يحتوي على كلمة هو.

لقد أكد يسوع باستمرار ألوهيته. فعندما جاء حراس الهيكل مع الجنود الرومانيين ليقبضوا عليه في الليلة السابقة لصلبه سألهم يسوع «مَنْ تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري، فقال لهم يسوع أنا هو ego eimi... فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يوحنا ١٨: ٤-٦). إذ لم يتمكنوا من الصمود أمام قوة تصريحه عن نفسه، وقوة شخصه.

لم يجد كُتَّاب العهد الجديد الذين اقتنعوا بأن يسوع المسيح هو الله أية مشكلة في أن ينسبوا ليسوع كل فقرات العهد القديم التي تشير إلى يهوه.

ففي بداية إنجيله يستشهد مرقس بإشارة إشعياء إلى الله: «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب (يهوه). قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (إشعياء ٤٠: ٣). ولقد فسر مرقس هذه الفقرة على أنها نبوءه تحققت في يوحنا المعمدان الذي يُعِّد الطريق ليسوع (مرقس ١: ٢-٤؛ قارن مع يوحنا ١: ٢٣).

كما استشهد بولس بيوئيل ٢: ٣٢ «ويكون أن كل مَنْ يدعو باسم الرب ينجو.» وطبّق بولس هذا القول على الرب يسوع عندما قال: «لأن كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلُص» (رومية ١٠: ١٣).

كذلك استشهد بطرس بنفس العدد في أعمال ٢: ٢١ «ويكون كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلُص»، ثم عندما سأله الناس ماذا ينبغي أن يفعلوا حتى يخلُصوا وأجابهم: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح» (أعمال ٢: ٣٨). فبعد أن ذكر بطرس أن الدعوة باسم الرب (أي الاعتماد عليه) شرط لازم مُسبق للخلاص، قال لهم إنه عليهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح. ولو لم يكن بطرس يعتبر أن يسوع المسيح هو الله، لتوقعنا منه أن يأمرهم أن يعتمدوا باسم يهوه، وهو الأمر الذي يتمشى مع الإيمان اليهودي، والممارسات اليهودية.

وما يفوق حقيقة إعطاء التلاميذ هذه الصفة ليسوع أهمية هو أن أعداءه أدركوا أنه يقول إنه الله. ومن المعروف أن شاهد الادعاء هو دائمًا دليل قوي في أية محكمة. فمثلاً قال يسوع:

«أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً (الله)» (يوحنا ١٠: ٣٠-٣٣).

لم يساور قادة اليهود أي شك في أن يسوع جعل نفسه الله، ولم يجعل نفسه أقل من ذلك. وهكذا فإن الاتهام الرئيسي الذي ركّز عليه أعداؤه لم يكن حول أمرٍ فعله، بل بالأحرى حول هُويته التي ادعاها لنفسه، أي ألوهيته.

الله

الكلمة اليونانية المستخدمة مئات المرات في العهد الجديد للدلالة على الله هي كلمة «ثيوس» (وهي تقابل إلوهيم العبرية في العهد القديم). ويدعى يسوع بهذا الاسم تمييزًا له عن الآلهة الزائفة في عدة مواضع.

وتناقض النظرة الكتابية اليهودية / المسيحية لله الواحد النظرة الهندوسية والبوذية. فالهندوسية تنظر إلى ذات الإنسان الحقيقية على أنها واحدة مع الحقيقة المطلقة. وليست هناك مشكلة بالنسبة لمعظم رجال الدين الهندوسي في أن يقولوا "أنا الله"، وفي تعليم الآلاف من تابعيهم يقولون نفس الشيء. ومن الواضح أن الإنسان الذي يعتقد أنه داخليًا الله بالفعل، لا يحتاج إلى أن يطلب الله بالمعنى المسيحي لهذه الكلمة، ولا إلى قبول مخلِّص شخصي. وهذا لا ينطبق على العهد الجديد في إطاره اليهودي التوحيدي الذي يرسم خطوطًا واضحة فاصلة بين الله وخليقته. فمن الناحية الحضارية الثقافية، ما كان يمكن أن يُدعى يسوع باسم الله ما لم يكن معتبرًا «الله الوحيد» (تثنية ٦: ٤)؛ لأنه لا توجد آلهة أخرى حسب الاعتقاد اليهودي.

كتب سي. إس. لويس:

"تقول إحدى محاولات إنكار لاهوت المسيح بأن يسوع لم يقل في حقيقة الأمر كل هذه الأشياء عن نفسه، لكن أتباعه بالغوا في القصة، وهكذا تطورت الأسطورة بأنه أطلق هذه التصريحات. ويصعب علينا تصديق هذا التفسير لأن كل أتباعه كانوا يهودًا، أي إنهم انتموا للأمة التي تؤمن إيمانًا مطلقًا -أكثر من أية أمة أخرى- بأنه ليس هناك إلا إله واحد وبأنه لا يمكن أن يوجد إله آخر. ومن الغريب جدًا أن تظهر مثل هذه البدعة الشنيعة بين آخر شعب من بين كل الشعوب يُحتمل فيه ارتكاب مثل هذا الخطأ. بل على العكس من ذلك، فإنه يتكون لدينا الانطباع، ونحن نقرأ الإنجيل، أنه لم يكن من أتباعه المباشرين أو حتى كُتّاب العهد الجديد من اعتنق هذه العقيدة بسهولة مطلقة."

الله يقف دائمًا منفصلاً عن خليقته؛ فليس البشر امتدادًا لله. وفيما يلي أحد عشرة مثالاً لمواضع في العهد الجديد يُدعى فيها يسوع: "الله".

(١) في الأصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين عدد ٨ الذي يُظهر تفوق المسيح على الملائكة والأنبياء، تقول كلمة الله: «وأما عن الابن (يقول الله) كرسيك يا الله (ثيوس) إلى دهر الدهور». إن هذا الشاهد الكتابي يستشهد استشهادًا مباشرًا بمزمور ٤٥: ٦-٧ حيث يخاطب الله "الآب" الله "الابن"، وهي ترجمة صحيحة للنص اليوناني.

(٢) دعا بطرس المسيح "الله" (ثيوس)، حيث كتب «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيمانًا ثمينًا مساويًا لنا ببر إلهنا (ثيوس) والمخلِّص (الذي هو مخلِّصنا) يسوع المسيح» (٢بطرس ١: ١). واسم يسوع المسيح مُستخدم هنا لغويًا كبدل من الله والمخلِّص حسب النص اليوناني (ويمكن استخدام البدل في اللغة اليونانية كشرح لاسم سابق أو كمساوٍ له). وذلك بحسب قاعدة Granville Sharpe في اليونانية. أما حرف العطف «و» (kai في اليونانية) فيربط الاسمين بدون

أي انفصام؛ وهذا يعني أن البدل (الكلمة التي تعطي اسمًا جديدًا للاسم السابق) يسوع المسيح يعود بالضرورة على كل من «الله» و «المخلص». أي إن يسوع المسيح هو إلهنا ومخلِّصنا. ويؤكد المتخصصون في قواعد اللغة اليونانية أن شخصًا واحدًا فقط هو المقصود بقوله إلهنا و «المخلص» لا شخصين. يقول «واينر شميدل» في كتابه قواعد اللغة اليونانية (ص ١٥٨): "تفرض القواعد فرضًا أن المقصود هو شخص واحد فقط." ويصرّح «أي. تي. روبرتسون» في مؤلفه «صور لفظية في العهد الجديد» (المجلد السادس ص١٤٧) "شخص واحد لا شخصان." (قارن هذا مع ما يقوله «مولتون» في مؤلفه «قواعد العهد الجديد»، المجلد الثالث ص ١٨١، و«دانا ومانيّ» في كتابهما «دليل قواعد اللغة اليونانية» ص ١٤٧). فهم يتفقون جميعًا بأن يسوع المسيح هو الله والمخلِّص.. أي الله المخلِّص.

(٣) استخدم بولس نفس قاعدة Granville Sharpe عندما طلب من تيطس أن ينتظر ظهور مجد الله العظيم ومُخلِّصنا يسوع المسيح (تيطس ٢: ١٣).

(٤) قال توما الذي شك في قيامة يسوع: «إن لم أُبصر في يديه أثر المسامير... وأضع يدي في جنبة، لا أومن» (يوحنا ٢٠: ٢٥). وعندما ظهر يسوع لتوما قال له: «هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنًا»، أجاب توما وقال له: «ربي وإلهي» (يوحنا ٢٠: ٢٧، ٢٨). ليس هناك شك في أن كلمات توما كانت موجهة إلى يسوع. وقد استخدم توما كلا اللقبين للتعبير عن فهمه لألوهية المسيح وربوبيته. لم يوبّخ يسوع توما على تجديف قام به، وإنما قَبِل اللقبين الدالّين على ألوهيته. (عدد ٢٩).

(٥) يقول أعمال ٢: ٣٦ «الله جعل يسوع... ربًا ومسيحًا»، ويتحدث العدد ٣٩ عن الله على أنه الرب إلهنا. ويعزّز أعمال ١٠: ٣٦ هذه النقطة فيقول إن «يسوع المسيح هذا هو رب الكل».

(٦) يشير أعمال ١٦: ٣١، ٣٤ إلى الإيمان بالرب يسوع والإيمان بالله.

(٧) تقول رؤيا ٧: ١٠-١٢، ١٧ «وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين»: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف، وجميع الملائكة كانوا واقفين حول العرش، والشيوخ والحيوانات الأربعة وخروا أمام العرش على وجوههم وسجدوا لله قائلين: آمين! البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين. آمين... لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية (ماء الحياة) ويمسح الله كل دمعة من عيونهم». لاحظ في العدد العاشر أن الله هو الذي يجلس على العرش، وأن الخروف يسوع هو الذي يجلس وسط العرش في العدد ١٧. فمَنْ هو الذي في وسط العرش؟ فإذا قلنا أن يسوع يجلس في وسط العرش مع إنكارنا لألوهيته فإن معنى هذا إننا نُجرد الله من مكانه الأبدي في السماء، وهو إدعاء لا يمكن الدفاع عنه.

(٨) يتحدث أعمال الرسل ١٨: ٢٥ عن طريق الرب، وهو نفس الطريق الموجود في العدد ٢٦ الذي يليه. غير أن الكلمة المستخدمة في العدد ٢٦ في الأصل اليوناني هي "الله".

(٩) هناك اسم آخر للمسيح المنتظر وهو عمانوئيل (إشعياء ٧: ١٤)، المترجم حرفيًا إلى «الله معنا». وينسب هذا اللقب بكل وضوح في متى ١: ٢٣ إلى يسوع «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويُدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره: الله معنا».

(١٠) يقول إشعياء ٩: ٦ «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا، إلهًا قديرًا (الله القدير)، أبًا أبديًا، رئيس السلام». تشير هذه النبوءة المختصة بيسوع -المسيّا- إلى أن أحد أسمائه سوف يكون (الله القدير)، وفي العبرية El Gibbor وهو نفس التعبير المستخدم عن يهوه في إشعياء ١٠: ٢١. ما نقصده هو أن الروح القدس ميّز يسوع بمثل هذه الأسماء؛ ولو لم يكن مقصودًا لهذه الأسماء أن تعبّر عن طبيعة الطفل المولود لكان ذلك خداعًا. وتعبير "يدعى اسمه" معناه أن هذه هي طبيعته وهذا هو شخصه، لا

أن هذا ما يعنيه اسمه دون أن يكون للطفل المولود الطبيعة التي يدل عليها هذا الاسم.

يقول «هيربيرت سي. ليوبولد»: "هذه هي الطبيعة التي سوف يتمتع بها الطفل المولود، فهو يُدعى بهذه الأسماء لأنه في حقيقة الأمر يتمتع بنفس الطبيعة التي يدل عليها اسمه." فلو لم يكن يسوع هو الله القدير، لن يكون هو «مشيرًا عجيبًا» أو «رئيس السلام»، ولو لم تكن هذه كلها تنطبق عليه فلماذا يُدعى بها أصلاً؟ لماذا يخبرنا عن معنى الاسم لو لم تكن له علاقة به؟ لكن المسيّا المنتظر، كما توضح بقية نصوص سفر إشعياء والعهد الجديد، «مشير عجيب ورئيس السلام» (إشعياء ٤٢، ٤٩؛ قارن زكريا ٩: ٩، ١٠؛ ميخا ٥: ٤). وهو أيضًا الله القدير كما يبرهن العهد الجديد (يوحنا ١: ١، تيطس ٢: ١٣).

(١١) يقول يوحنا ١: ١، ١٤ «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (ثيوس) والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا». لا توجد فقرة أكثر شيوعًا في الاستخدام، أو أكثر إثارة للجدل حول ألوهية المسيح من يوحنا ١: ١، ولا شك في أن الكلمة تشير إلى يسوع؛ لأن العدد ١٤ يقول «والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا». لذلك إذا أخذنا العددين ١، ١٤ كما هما، فإنهما يعلّمان ألوهية المسيح ويصرّحان بأن الكلمة كان عند الله، وأن الله صار جسدًا.

إذا أنكر المرء لاهوت المسيح بعد قراءتنا لهذين العددين فسوف يكون مضطرًا لترجمة يوحنا ١: ١ ترجمة خاطئة أو محاولة إعادة تفسيرها. وإحدى هذه الطرق الخاطئة في ترجمتها هي القول، وكان الكلمة "إلهًا" بدلاً من «وكان الكلمة الله». ومشكلة هذه الترجمة أن النص اليوناني لا يجيز هنا مطلقًا استخدام الله كنكرة في هذا السياق.

يشير «بروس ميتسجر»، أحد دارسي اللغة اليونانية، إلى بحث علمي كتبه الدكتور «إيرنست كادمن كولويل» من جامعة شيكاغو. كتب كولويل يقول:

> "الخبر المرفوع يأخذ «ال» التعريف في اليونانية عندما يتبع الفعل، ولا يأخذ «ال» التعريف عندما يسبق الفعل. (في

الأصل اليوناني تستخدم الكلمة مبتدأ وتسبق الفعل ثم يأتي لفظ الله خبرًا) «والكلمة الله» بدلاً من الترجمة العربية «وكان الكلمة الله». والعدد الأول من إنجيل يوحنا هو أحد الأعداد الكثيرة التي تنطبق عليها تلك القاعدة، وتدل على أن الخبر (الله) اسم مُعرّف حتى بدون استخدام ال التعريف، وغياب ال التعريف قبل كلمة "ثيوس" لا يجعل الخبر نكرة أو صفة عندما يسبق الفعل، وهو لا يكون نكرة إلا عندما يحتّم السياق ذلك. لكن السياق هنا لا يدع مجالاً لذلك في الإنجيل بحسب يوحنا، لأن مثل هذا التصريح عن لاهوت المسيح لا يمكن أن يُعتبر غريبًا عن روح إنجيل يوحنا الذي يصل إلى قمته باعتراف توما بألوهية المسيح وربوبيته."

ويقول «ف. ف. بروسو»، وهو خبير في لغات الكتاب المقدس، إن ترجمة عبارة "وكان الكلمة الله" في الإنجليزية مثلاً باستخدام The خطأ مخيف في الترجمة لأن حذف ال التعريف أمر شائع مع الأسماء التي تأتي في تركيب خبري.

وهكذا فإن يوحنا ١ : ١ من أوضح الأعداد في العهد الجديد التي تُعبِّر عن لاهوت المسيح المطلق. ولقد ناقش هذا التركيب عدد كبير من عظام علماء اللغة اليونانية والكتاب المقدس. ويمكننا إعادة صياغة هذا العدد كما يلي: "قبل أن يوجد أي شيء كان الكلمة موجودًا أصلاً، وكان يتمتع بعلاقة وثيقة مع الله (الآب)، كان الكلمة كل ما كانه الله."

يقول «ف. ف. بروس» إن التركيز ينصب على أن الكلمة "كان الله نفسه".

يسأل بعض الناس أحيانًا كيف يمكن أن يكون يسوع هو "الله" و "عند الله" في نفس الوقت. والجواب موجود في مفهوم الثالوث: إله واحد في ثلاثة أقانيم أبدية. لقد كان "الكلمة" المذكور في يوحنا ١ : ١ مع الأقنومين الآخرين من أقانيم الثالوث، وهو الله نفسه بطبيعته.

هناك مجموعة تُعرف باسم "الطريق الدولي" تقول بأن يسوع هو الكلمة بمعنى أنه كان تعبيرًا عن الله، كما تُعبّر كلماتنا عن أنفسنا. ولا تؤمن هذه المجموعة بأن يسوع الكلمة بمعنى أنه الله. ودعمًا لوجهة نظرهم قالوا بأن يوحنا ١ : ١-١٨ تتكلم أساسًا عن الله وليس عن يسوع؛ لأنها إن كانت تتكلم عن يسوع، فسوف تنسب له صفات لا يجوز أن تكون إلا لله. وهكذا، وبقدر

الإمكان، فإنهم يحاولون إخراج يسوع من دائرة الضوء زاعمين أن الأصحاح الأول من يوحنا هو عن الله.

غير أن هناك نقائص ومشاكل كثيرة في تفسيرهم هذا. **أولاً**: لو كان المُتحدَّث عنه بضمير الغائب "هو" في الأصحاح الأول من يوحنا هو الله وليس يسوع، يصبح كل الأصحاح الأول بلا معنى؛ لأن هدف إنجيل يوحنا هو أن يؤمن البشر بيسوع.

يقول يوحنا في العدد الرئيسي من إنجيله: «وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣١). ولهذا يبدو منطقيًا أن ترتبط مقدمة إنجيل يوحنا بالهدف الذي قصد إليه.

ثانيًا: كل ما تتحدث عنه الأعداد الثمانية عشر الأولى من إنجيل يوحنا ينسب ليسوع في أماكن أخرى من الإنجيل أو في فقرات العهد الجديد. فيما يلي بعض الأمثلة:

الأصحاح الأول	فقرات موازية
العددان ٣، ١٠: خلق يسوع العالم	كان له دور رئيسي في خلق العالم (عبرانيين ١: ١، ٢، ٨-١٣؛ كولوسي ١: ١٦-١٨)
العدد ٤: «فيه كانت الحياة»	قال يسوع إنه هو «خبز الحياة»، «القيامة والحياة»، «الطريق والحق والحياة» (يوحنا ٦: ٣٥، ٤٨، ٥١؛ ١١: ٢٥؛ ١٤: ١٦). ويقول يوحنا ٢٠: ٣١ إنه يمكن للبشر أن يحصلوا على الحياة بالإيمان بيسوع.

الأصحاح الأول	فقرات موازية
العدد ١٢: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه»	ضح يوحنا في إنجيله أنه على الناس أن يؤمنوا بيسوع (يوحنا ٣: ١٦–١٨؛ ٥: ٢٤؛ ١٢: ٤٤؛ ٢٠: ٣١... إلخ). ويسوع يمنح الحياة الأبدية (يوحنا ١٠: ٢٨)
العددان ٤، ٩: كان هو «نور الناس» و«النور الحقيقي»	قال يسوع إنه هو «نور العالم» (يوحنا ٨: ١٢؛ ٩: ٥)
العدد ١٠: «كان في العالم»	مَنْ؟ من المنطقي أن يشير هذا العدد إلى يسوع. فالتوكيد يتركز على مجيء يسوع إلى العالم. (يوحنا ٣: ١٧؛ ٦: ٣٣، ...إلخ)
العدد ١١: «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله»	رفض اليهود يسوع، لا الله كما فهموا الله (يوحنا ٣: ٣٢). لقد اعتقدوا أنهم برفضهم ليسوع يحققون إرادة الله.

الألف والياء .. الأول والآخر

هذان التعبيران «الألف والياء» يقدمان وصفًا جميلاً لله يبعث على الخشوع. فالله كان موجودًا قبل وقت طويل جدًا من وجود النجوم في السماء ووجود عالمنا، وهو أزلي أبدي. يقول تكوين ١: ١ «في البدء ... الله». والله وحده يستحق لقبي الألف (الأول) والياء (الآخر).

وهكذا فإن هذين الاسمين يُعبِّران عن طبيعة الله الأبدية. إنه مصدر كل الخليقة وهدفها، ولا يستطيع أي كائن مخلوق أن يدّعي أنه الأول وأنه

الآخر أو أنه سابق كل ما هو موجود. لذلك يُدعى كل من يسوع والله «الألف والياء، الأول والآخر» في الكتاب المقدس.

الله	يسوع
إشعياء ٤١: ٤ «أنا الرب (يهوه) الأول ومع الآخرين أنا هو».	رؤيا ١: ١٧، ١٨ «أنا هو الأول (بروتوس) والآخر (إسكاتوس)، والحي وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين».
إشعياء ٤٨: ١٢ «أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر.»	رؤيا ٢: ٨ «وإلى ملاك كنيسة سميرنا. هذا يقوله الأول والآخر، الذي كان ميتا فعاش».
رؤيا ١: ٨ «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء».	رؤيا ٢٢: ١٢-١٦ «وها أنا آتي سريعًا... أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخِر... أنا يسوع، أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور...».

لا يمكن التقليل من أهمية الفقرات السابقة من سفر الرؤيا ودلالاتها. فهي بعض من أقوى الأمثلة وأوضحها لتصريحات المسيح بألوهيته. إذ لا يمكن أن يكون هناك أوّلان وآخران أو بدايتان ونهايتان.

الرب

يستخدم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لقب "الرب" بحرية للإشارة لله وليسوع المسيح. والكلمة التي يستخدمها العهد القديم لتشير إلى الرب هي أدوناي، بينما تستخدم الترجمة السبعينية والعهد الجديد كلمة "كيريوس" كمقابل لكلمة "الرب". وقد استخدم اليهود كلاً من كلمتي "أدوناي" و"كيريوس" للإشارة إلى الله.

استخدم العهد الجديد كلمة "كيريوس" بمعنيين.. معنى شائع عام، وآخر مقدَّس. كان الاستخدام الشائع العام تحية احترام تعني "سيدي" أو "سيد"،

أما المعنى المقدس فكان يفيد الألوهية. ومن الواضح أن بعض فقرات العهد الجديد تستخدم كلمة «رب» كتعبير يدل على تبجيل يسوع، كما في يوحنا ٤: ١١ «قالت له المرأة: يا سيد، لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟». ولأن المسيحيين الأوائل كانوا يؤمنون بإله واحد (كاليهود)، كان استخدامهم لكلمة «رب» بالمعنى المقدس في مخاطبة يسوع دليلاً قويًا على اعتقادهم بأن المسيح هو الله. يقول «هوج» و«فاين» في كتابتهما حول رسالتي بولس إلى أهل تسالونيكي:

> "نرى الدلالة الكاملة لربط يسوع مع الله بلقب واحد هو "الرب" عندما ندرك أن هؤلاء الرجال كانوا ينتمون إلى الأمة الوحيدة الموحِّدة في العالم. وكان ربط اليهودي للخالق بشخص مخلوق، مهما بلغ تعظيمه له، أمرًا مستحيلاً على الرغم من أنه كان أمرًا ممكنًا بالنسبة لشخص وثني."

وكان الرومانيون الذين عبدوا الإمبراطور كإله يُحيّون بعضهم بعضًا بقولهم: "قيصر رب". لذلك كان أحد أسباب اضطهاد الرومانيين للمسيحيين الأوائل واليهود هو رفضهم تقديم هذا النوع من الإجلال للإمبراطور. وتوضح هذه الممارسة الدلالة أو الأهمية التي ينطوي عليها استخدام المسيحية لتعبير "يسوع رب" أي رب بمعنى "الله".

هناك عدة أمثلة واضحة يُشار فيها إلى يسوع بكلمة "رب" بالمعنى المقدَّس. كَتَب بولس قائلاً: «وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس» (١كورنثوس ١٢: ٣). قد يعترض البعض فيقولون: "أنا أؤمن أن يسوع هو ربي، ولكني بالتأكيد لا أعتقد أنه الله." والسؤال المهم هو ما هو المقصود بكلمة رب؟ ويستطيع أي شخص أن يتفوه بعبارة "يسوع رب"، كما يقولها بعضهم بمعنى أن يسوع "سيد"، لكن ليس هذا هو ما قصده بولس! فهناك عدة دلائل تشير إلى أن بولس يتحدث عن ألوهية يسوع.

(١) بدأ بولس الأصحاح الثاني عشر بالتحدث عن المواهب الروحية، وحقيقة أن أهل كورنثوس كانوا منقادين سابقًا إلى عبادة الأوثان كآلهة. ويظهر بولس الفرق الشاسع بين هذه الآلهة الزائفة (العددان ١،

٢)، وبين يسوع عندما يقول إنه لا يمكن لمن يتكلم بالروح القدس أن يقول إن يسوع أناثيما (أي ملعون) ولا يستطيع أحد أن يعترف بأن يسوع رب إلا بالروح القدس، وهو بذلك يقصد أن يسوع الرب هو الله الحقيقي المستحق للعبادة.

(٢) تعامل بولس في العدد ٣ مع الروح القدس ويسوع والله على أسس متساوية. كما تُظهر الأعداد ٤-٦ الأمور التالية:

العدد ٤: فأنواع مواهب، ولكن الروح واحد.

العدد ٥: وأنواع خِدم موجودة، ولكن الرب واحد (أي يسوع كما في العدد الأول)؛

العدد ٦: وأنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد. فإذا لم يكن المسيح هو الله، فلماذا يُعامل على قدم المساواة معه في العدد الخامس؟ كما يتحدث العددان الحادي عشر والثامن عشر عن الروح القدس والله على أنهما متساويان.

لو أننا سألنا شخصًا يُنكِر ألوهية المسيح عما إذا كان "يصلي إلى الرب" أم لا، فإنه سيسأل "مَنْ الذي تقصده؟" وهذا هو محور الموضوع. فنحن نجد في الكتاب المقدس أن الله ويسوع يُدعيان الرب. والجواب الذي يحتمل أن نحصل عليه هو "أنا أصلي إلى الله، لكني لا أؤمن بالصلاة ليسوع." وجوابًا على مثل هذا القول، فإن هناك خمسة أمثلة في العهد الجديد تُقدَّم فيها الصلاة ليسوع في السماء كالرب (أو ابن الله).

(١) في أعمال ٧: ٥٩، ٦٠ دعا استفانوس يسوع ربًا. صلّى أثناء رجمه فقال: «أيها الرب يسوع، اقبل روحي.» وهذا يشير إلى إيمانه بأن يسوع أكثر من مجرد إنسان، وأنه قادر إلى درجة تكفي لقبول روحه، ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم قائلاً: «يا رب، لا تُقِم لهم هذه الخطية» ومن المعروف أنه لا يمكن ليهودي يوناني تقي أن يصلي لأي شخص أقل من الله.

(٢) كتب بولس الرسول في ١كورنثوس ١: ٢ إلى «المقدَّسين.. الذين يَدْعُون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان، لهم ولنا (أي ربهم وربنا)».

(٣) وتحدث بولس الرسول في ٢كورنثوس ١٢: ٨، ٩ عن شوكة في الجسد فقال: «من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني. فقال لي: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل، فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح».

(٤) ونقرأ في رسالة يوحنا الأولى ٥: ١٣-١٥ «كتبت هذا إليكم، أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية، ولكي تؤمنوا باسم ابن الله. وهذه هي الثقة التي لنا عنده: أنه إن طلبنا شيئًا حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا، نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه». إن كل الضمائر الموصولة والمستترة (وهي ضمائر غير مستترة باللغة اليونانية الأصلية) تشير إلى ابن الله (عدد ١٣).

(٥) قال سيمون في أعمال ٨: ٢٤ «اطلبا (صليا) إلى الرب...» (يذكر العدد ١٦ أن يسوع هو «الرب»).

لقد أكد بطرس وبولس أن يسوع هو «رب الكل» (أعمال ١٠: ٣٦؛ رومية ١٠: ١٢)، كما قال بولس: «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كورنثوس ٢: ٨). مَنْ هو رب المجد؟ يخبرنا مزمور ٢٤: ١٠ «رب الجنود هو ملك المجد» (انظر أيضًا مزمور ٩٦: ٧، ٨).

كما دعا بولس يسوع ربًا في ٢كورنثوس ٤: ٤، ٥ فقال «إله هذا الدهر (الشيطان) قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله. فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًا، ولكن بأنفسنا عبيدًا لكم من أجل يسوع». وهكذا فإن المسيح الذي هو صورة الله، رب.

وقد استخدم بولس نفس اللغة والمجاز اللذين استخدمهما إشعياء في العهد القديم عن يهوه ليُطبقهما على المسيح.

الله	يسوع
«... أنا الله وليس آخر... لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان» (إشعياء ٤٥: ٢٢-٢٤)	«لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّنْ في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (فيلبي ٢: ١٠، ١١)

ولم يكن بولس الفريسي والعالِم بالعهد القديم ليستخدم هذا التماثل أو التطابق صدفة. أشار يسوع إلى نفسه على أنه «رب السبت»، وهي إشارة إلى نفسه كخالق للسبت. قال الله في خروج ٣١: ١٣، ١٧ «سبوتي تحفظونها. لأنه علامة بيني وبينكم... بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد». لقد نظر اليهودي إلى يهوه على أنه بادئ السبت (خالقه) وربه. وعندما وبّخ بعض الفريسيين يسوع لأنه سمح لتلاميذه بأن يقطفوا السنابل في السبت -كاسرين بذلك الناموس لأنهم عملوا في هذا اليوم المقدس- قال لهم يسوع إنه لا بأس بذلك لأنه «رب السبت» (متى ١٢: ٨). يقول «سي. إس. لويس»:

> "نجد هنا ملاحظة أخرى غريبة: توجد في كل ديانة شعائر غير مريحة مثل الصيام. فيأتي هذا الإنسان يومًا ما ليقول: «ليس من الضروري أن يصوم أحد ما دمت هنا.» فمَنْ هو هذا الإنسان الذي يقول إن مجرد حضوره يعلّق كل القوانين العادية؟ مَنْ هو الشخص الذي يستطيع فجأة أن يُعلن للمدرسة أن بإمكان الهيئة التدريسية والطلاب أن يأخذوا عطلة لنصف يوم؟"

لقد اعتبر اليهود الذين سمعوا كلامه هذا تجديفًا، ثم دخل يسوع في نفس يوم السبت إلى مجمعهم مؤكدًا مرة أخرى نقطة العمل يوم السبت والذي تمثل في شفائه لرجل ذي يد يابسة، مما زاد من حنقهم عليه. لأن هذا العمل كان بمثابة كسر للسبت حسب فهمهم له. كذلك عندما صرّح بأن له سلطانًا لا يمكن أن يكون إلا لله، زاد سخطهم عليه وحاولوا قتله (متى ١٢: ١٤).

نعود فنقول بأنه لا يمكن أن يوجد إلا إله واحد حسب تثنية ٦: ٤، ومرقس ١٢: ٢٩.

المخلّص

لقد صرح إله العهد القديم بشكلٍ حاسم بأنه وحده المخلّص «أنا أنا الرب (يهوه) وليس غيري مخلّص» (إشعياء ٤٣: ١١)، غير أن الكتاب المقدس يوضح أن يسوع هو أيضًا مخلّص.

	يسوع
	متى ١: ٢١ «وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم.» يوحنا ١: ٢٩ «وفي الغد نظر يسوع... فقال، هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم».
	يوحنا ٤: ٤٢ «هذا هو بالحقيقة المسيح مُخلِّص العالم». عبرانيين ٥: ٩ «صار لجميع الذين يُطيعونه سبب خلاص أبدي».
	لوقا ٢: ١١ «إنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص، هو المسيح الرب».

طلب بولس من تيطس أن ينتظر «الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومُخلصنا يسوع المسيح» (تيطس ٢: ١٣). والسياق العام لهذا العدد هام، لأنه كان قد ذُكر قبل ثلاثة أعداد أن الله هو المُخلِّص «مخلصنا الله» (عدد ١٠)، ويقول في تيطس ٣: ٤ «مخلصنا الله» وفي العدد ٦ «يسوع المسيح مُخلِّصنا». فهو يستخدم في اثني عشر عددًا كلمتي المسيح والله بشكل تبادلي بحيث يمكن أن تحل الأولى محل الثانية.

الملك

«الملك» لقب يُعبّر عن جلال الله. كتب داود صاحب المزامير «لأن الرب إله عظيم، ملك كبير على كل الآلهة» (مزمور ٩٥: ٣). وقال الله «أنا الرب قدوسكم... ملككم» (إشعياء ٤٣: ١٥). يتحدث الكتاب المقدس أكثر من ثلاثين مرة في أسفار المزامير، وإشعياء، وإرميا، ودانيال، وزكريا، وملاخي عن الله بوصفه الملك أو «الملك العظيم» أو «ملك إسرائيل».

وعلى الرغم من أن مصطلح الملك لقب بشري غالبًا، فإن العهد الجديد لا يتحدث عن المسيح كملك بنفس المعنى الذي يتحدث فيه العهد القديم عن الله فحسب، لكن يسوع يُدعى أيضًا «ملك الملوك». إذ نقرأ في رؤيا ١٧: ١٤ «... والخروف يغلبهم، لأنه رب الأرباب وملك الملوك.» وستكون الكلمات التالية مكتوبة على فخذ يسوع عند مجيئه الثاني، «ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤيا ١٩: ١٦). ويشار إلى الرب يهوه في العهد القديم على أنه «إله الآلهة ورب الأرباب» (تثنية ١٠: ١٧).

كذلك هناك أهمية خاصة لتيموثاوس الأولى ٦: ١٤-١٦ تقول: «... إلى ظهور ربنا يسوع المسيح، الذي سيُبيّنه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد: ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت (الأبدية) ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية، آمين.»

يمكن أن يشير «ملك الملوك ورب الأرباب» إلى المسيح أو الله. فإذا كانت تتحدث عن المسيح في حالته الممجَّدة (رؤيا ١: ١٢-١٨)، فقوله «العزيز (صاحب السيادة) الوحيد وملك الملوك ورب الأرباب، والذي له وحده عدم الموت (الأبدية) وساكنًا في نور لا يدنى منه» يصبح كله ألقابًا تدل على ألوهيته. وإذا كانت هذه الفقرة تتحدث عن الله فمعنى ذلك أن كلاً من المسيح والله يشتركان في اللقبين المتطابقين «ملك الملوك ورب الأرباب» كما تُبين الفقرات الأخرى التي أشرنا إليها (رؤيا ١٧: ١٤ مثلاً) وفي كلتا الحالتين فهي تقدّم دليلاً على ألوهية المسيح.

الديّان

لم يترك العهد القديم مجالاً للشك بأن الله هو ديّان كل نفوس الناس. «يدعو السماوات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه... لأن الله هو الديّان» (مزمور ٥٠: ٤، ٦). وهناك إشارات كثيرة إلى يهوه كديّان (تكوين ١٨: ٢٥؛ مزمور ٩٦: ١٣؛ عبرانيين ١٢: ٢٣، ٢٤؛ ١بطرس ١: ١٧). غير أننا نجد في العهد الجديد أن الله الآب أعطى «كل الدينونة للابن» (يوحنا ٥: ٢٢). ويوضح لنا العدد ٢٣ سبب إعطاء الله كل الدينونة للابن: «لكي يُكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. مَنْ لا يُكرم الابن لا يُكرم الآب الذي أرسله». هل الآب مُكرم بوصفه الله؟ بالطبع. إذًا يجب أن يُكرم الابن بنفس الطريقة.

يوحنا ٥: ٧-٣٠ واحدة من أقوى الفقرات في كل الكتاب المقدس التي تؤكد ألوهية المسيح. ويسوع هو «العتيد أن يدين الأحياء والأموات» (٢تيموثاوس ٤: ١). وسوف يمثُل كل المؤمنين أمام «كرسي المسيح» (٢كورنثوس ٥: ١٠). وتتحدث رومية ١٤: ١٠ عن أن الوقوف أمام كرسي المسيح هو إعطاء حساب عن أنفسنا لله نفسه. كما أن يهوه والمسيح كليهما يفحصان قلوب المؤمنين «أنا هو الفاحص الكلى والقلوب» (رؤيا ٢: ٢٣؛ إرميا ١٧: ١٠). وهكذا يتضح لنا أن يسوع ويهوه ديان واحد.

النور

يستخدم تعبير «النور» غالبًا للإشارة بشكل مجازي لله وحضوره أو إعلانه.. فالله هو «النور»، و«النور الأبدي»، و«نور الأمم»، و«السراج»، وهو الذي يُضيء الظلمة (مزمور ٢٧: ١؛ إشعياء ٤٢: ٦؛ ٦٠: ١٩، ٢٠؛ صموئيل ٢٢: ٢٩).

قدم يسوع تصريحًا قويًا عن نفسه بأنه النور، لا مجرد شخص يشير إلى النور.. إذ قال: «أنا هو (ego eimi) نور العالم. مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يوحنا ٨: ١٢). وقال أيضًا مُشيرًا إلى نفسه: «وهذه هي الدينونة، أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور.» (يوحنا ٩: ٥). كما وصفه الرسول يوحنا بأنه «نور

الناس» و «النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان» (يوحنا ١: ٤، ٩)، فكما أن الله هو النور الأبدي فيسوع هو أيضًا كذلك (إشعياء ٦٠: ١٩، ٢٠؛ رؤيا ٢١: ٢٣؛ ٢٢: ٥).

الصخرة

كلمة "الصخرة" يمكن أن تعني أشياء كثيرة، لكن عندما تصبح اسمًا لله فإنها ترمز إلى تعزية الله لنا، وثباته وصلابته وقوته. لقد ترك موسى قبيل موته لأبناء أمته ترنيمة تذكرهم بطبيعة الله وبما فعله من أجلهم. استخدم في هذه الترنيمة اسمين لله هما: يهوه والصخرة «إني باسم الرب أنادي. أعطوا عَظَمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه!» (تثنية ٣٢: ٣، ٤؛ انظر تثنية ٣٢: ١٥، ١٨، ٣٠، ٣١). وقد دعا داود صاحب المزامير الله إلهي و«صخرة خلاصي» (مزمور ٨٩: ٢٦؛ ٩٥: ١)، كما قدَّم داود له العبادة كصخرة له «الرب صخرتي»، و«صخرة إسرائيل» (٢صموئيل ٢٢: ٢، ٣، ٤٧؛ ٢٣: ٣). ونجد في ٢صموئيل ٢٢: ٣٢ سؤالاً استنكاريًا: «لأنه مَنْ هو إله غير الرب ومَنْ هو صخرة غير إلهنا؟»

وفي العهد الجديد يعطى يسوع لقب «الصخرة». فقد أشار بولس إلى بني إسرائيل في البرية مع موسى فقال «وجميعهم أكلوا طعامًا واحدًا روحيًا، وجميعهم شربوا شرابًا واحدًا روحيًا. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح» (١كورنثوس ١٠: ٣، ٤؛ انظر خروج ١٧: ٦؛ نحميا ٩: ١٥). كان بولس يشير رمزيًا هنا إلى بني إسرائيل الذين يقوتهم الله- فكان يهوه يعطيهم المَنّ من السماء (العدد ٣)، وكان المسيح يعطيهم الشراب (العدد ٤). فمن الواضح إذًا أن بولس كان يؤمن بأن يسوع هو يهوه.

كما تحدّث بولس عن يسوع بوصفه «صخرة عثرة» (رومية ٩: ٣٣). وأشار له بطرس على أنه «حجر حي»، و«حجر صدمة»، و«صخرة عثرة»، و«حجر مختار»، و«حجر زاوية كريم»، و«الحجر الذي رفضه البناؤون».

الفادي

تعني كلمة الفادي الشخص الذي يُعيد شراء شيء. وعندما كان الجنس البشري مُفلسًا روحيًا وعاجزًا عن تخليص نفسه، بذل الله عن طيب خاطر حسب علمه السابق (أعمال ٢٣: ٢) ابنه من أجل فداء الجميع، فاتحًا الباب لأي شخص للمصالحة مع الله. تقول كلمة الله «عنده فِديً كثير» (مزمور ١٣٠: ٧، ٨)، وإنه «الفادي» (إشعياء ٤٨: ١٧؛ ٥٤: ٥؛ ٦٣: ٩)، وهو الذي يفدي من "الحفرة" حياتنا (مزمور ١٠٣: ٤)، ولا يمكن أن يأتي الفداء النهائي من الخطية إلا من الله.

يسوع المسيح هو فادينا من الخطية «لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» (أفسس ١: ٧). فيسوع هو الذي اشترى لنا فداءً أبديًا (عبرانيين ٩: ١٢). كما طلب بولس من شيوخ أفسس أن يرعوا «كنيسة الله التي اقتناها (اشتراها وافتداها) بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨). ولا يمكن أن يشير هذا إلا إلى موت المسيح على الصليب.. فيسوع هو الله الابن فادينا.

الرب برنا

تنبأ العهد القديم، نظرًا لحاجة البشرية للبر وعجزنا عن الوصول إلى مستوى القداسة الذي يطالبنا الله به (رومية ٣: ٢٣)، بأن يهوه سوف يُقيم يومًا «غصن بر» من أصل داود يكون اسمه «الرب برنا» (إرميا ٢٣: ٦؛ ٣٣: ١٥، ١٦). وهذا الغصن حسب تعليم العهد القديم هو المسيا المنتظر أو المسيح (قارن مع لوقا ١: ٣٢). وهكذا فإن أحد أسماء يسوع هو الرب (يهوه) برنا. ويقول لنا إشعياء ٤٥: ٢٤ إنه ليس هناك أي بر إلا في يهوه الرب: «إنما بالرب البر».

الزوج العريس

أحد الجوانب الجميلة للقب "الزوج" عندما يستخدم للدلالة على الله، هو أنه يذكِّرنا بأن الله يحبنا ويشتاق إلى أن يملأ الفراغ والوحدة الموجودين

في قلوب الناس- كما يفعل الزوج المحب ليسدد احتياجات زوجته (والعكس صحيح أيضًا). ذكّر إشعياء إسرائيل بقوله: «لأن بعلك (زوجك) هو صانعك» (إشعياء ٥٤: ٥). وفي سفر هوشع نجد أن الله يقارن محبته لإسرائيل بمحبة زوج أمين لزوجة غير مخلصة. لقد أعطى الله وعدًا بأنه على الرغم من أن الدينونة قادمة، فإن إسرائيل سوف يدعو الله مرة أخرى «رَجُلي» (هوشع ٢: ١٦)- أي زوجي أو عريسي.

وكما ينظر العهد القديم إلى الله كزوج لإسرائيل، فإن العهد الجديد يرى في يسوع زوج (عريس) الكنيسة. قال يسوع إن تلاميذه كانوا محقّون في عدم الصوم لأن «العريس» معهم (مرقس ٢: ١٨، ١٩). ويطلب المسيح في متى ٢٥: ١ من العذارى (الكنيسة) أن ينتظروا العريس أي المسيح نفسه. ويقول بولس في ٢كورنثوس ١١: ٢ إن الكنيسة مخطوبة للزواج من المسيح، ويشير يوحنا في رؤيا ٢١: ٢، ٩ إلى الكنيسة بوصفها عروس مهيأة لرجلها والعروس امرأة الخروف. والعروس الجديدة هي أورشليم السماوية. وهكذا فإن المسيح، مثل الله، هو الزوج الإلهي.

الراعي

"الراعي" مصطلح جميل يشير إلى الله في رعايته للبشر.. ولقد رنم داود قائلاً: «الرب راعيّ فلا يعوزني شيء» (مزمور ٢٣: ١)، ويقول في مزمور ٨٠: ١: «يا راعي إسرائيل، أصغ يا قائد يوسف كالضأن». ويشير تكوين ٤٩: ٢٤ إلى الله «الراعي صخر إسرائيل»، كما خصص حزقيال أصحاحًا كاملاً للتحدث عن الله كراعٍ لبيت إسرائيل الضال «غنم مرعاه» (حزقيال ٣٤).

وعلى الرغم من أن استخدام كلمة الراعي لا يبرهن على ألوهية المسيح، فقد دعي بطرس وبولس المسيح «رئيس الرعاة» و«راعي الخراف العظيم» و«راعي نفوسكم وأسقفها» (١بطرس ٥: ٤؛ عبرانيين ١٣: ٢٠؛ ١بطرس ٢: ٢٥). كما أن يسوع دعا نفسه راعيًا مؤكدًا أنه «الراعي الصالح» (يوحنا ١٠: ١١)، وأنه الراعي «الوحيد» (يوحنا ١٠: ١٦)

الخالق

يقول أول عدد في الكتاب المقدس: «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تكوين ١: ١)؛ فالله يُعَرَّف بوضوح على أنه الخالق. وقول أي شيء آخر مختلف عن هذا كان يُعتَبر تجديفًا بالنسبة لليهود. يقول الكتاب المقدس مرة تلو الأخرى على أن الله هو الذي خلق العالم (أيوب ٣٣: ٤؛ مزمور ٩٥: ٥، ٦؛ ١٠٢: ٢٥، ٢٦؛ الجامعة ١٢: ١؛ إشعياء ٤٠: ٢٨). يؤكد العهد الجديد ألوهية المسيح بالتحدث عنه كخالق:

> «هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان... كان في العالم وكُوِّن العالم به، ولم يعرفه العالم» (يوحنا ١: ٢، ٣، ١٠).

ومن الواضح أن هذه الفقرة تتحدث عن يسوع، ولقد عبّر بولس عن نفس الفكرة:

> «فإنه فيه خُلِق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل» (كولوسي ١: ١٦-١٨).

يشير النص إلى أن بولس يتحدث عن يسوع، والضمائر المستخدمة تشير إلى شخص واحد. وتتحدث الفقرة عن شخص واحد به خُلقت كل الأشياء. إنه رأس الكنيسة، وهو «البداءة» (موجود منذ البدء وبادئ كل شيء) و«بِكْر من الأموات». ولقد جمع يسوع كل هذه الأمور، وذلك بحسب أفسس ٥: ٢٣؛ يوحنا ١: ١؛ ١كورنثوس ١٥: ٢٠.

ولقد أكد كاتب الرسالة إلى العبرانيين على نفس النقطة بقوله «الله... كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين» (عبرانيين ١: ١، ٢). وفي نفس الأصحاح الذي يخاطب الابن في العدد الثامن يقول: «وأنت يا رب (يسوع) في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك» (عبرانيين ١: ١٠).

يقول لويس سبيري شيفر:

"عملية الخلق في حد ذاتها أمر لا يمكن مقارنته بأي شيء آخر. فعندما خلق الله الأشياء المادية، دعاها إلى الوجود من العدم. وهذا التصريح لهو بعيد كل البعد عن فكرة إن لا شيء أنتج شيئًا.. فمن الواضح أنه لا يمكن أن ينتج أي شيء من العدم واللاشيء. فالكتاب المقدس يقول بأن كل شيء قد ظهر إلى الوجود من موارد الله اللانهائية. فالله هو مصدر كل ما هو موجود. لقد تسببت إرادة الله الذاتية الحرة في خلق العالم المادي، كما هو مذكور في رومية ١٠: ٣٦ «لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد آمين». يقول هذا العدد بأن الخلق عمل الله، فلا يعزى إلى غيره، لكن فو كولوسي ١: ١٦، ١٧يؤكد –مستخدمًا نفس التعبيرات العامة– أن كل الأشياء قد خُلِقت بالمسيح وله، وأنه موجود قبل كل الأشياء، وبه خُلقت كل الأشياء."

مُعطي الحياة

لقد كانت أروع لحظات الخلق تلك التي خلق فيها الله الإنسان، إذ يقول الكتاب: «ونفخ في أنفه نسمة حياة» (تكوين ٢ : ٧). ويقول الله في تثنية ٣٢: ٣٩، بعد تصريحه «أنا أنا هو وليس إله معي»، بإنه هو الذي يعطي الحياة «أُحيي» (قارن مع مزمور ٣٦: ٩).

قال يسوع: «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضًا يُحيي مَنْ يشاء» (يوحنا ٥: ٢١). قال يسوع قبيل إحيائه لعازر من بين الأموات: «أنا هو القيامة والحياة» (يوحنا ١١: ٢٥). كما أنه ذهب إلى حدّ قال معه إنه مُعطي الحياة الأبدية. «وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي... أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٢٨–٣٠). قال يسوع بأن الكتب (مشيرًا إلى العهد القديم) تشهد له: «... تشهد لي، ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة» (يوحنا ٥: ٣٩، ٤٠).

غافر الخطايا

الله هو غافر الإثم والمعصية والخطية (خروج ٣٤: ٧، انظر أيضًا نحميا ٩: ١٧؛ مزمور ٨٦: ٥؛ ١٣٠: ٤؛ إشعياء ٥٥: ٧؛ إرميا ٣١: ٣٤؛ دانيال ٩: ٩؛ يونان ٤: ٢)، ويسوع ابن الله يستطيع أن يغفر الخطية. يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي ٢: ١٣؛ ٣: ١٣ إن يسوع هو الذي يغفر الخطايا. وقال يسوع لبولس إنه يجب عليه أن يؤمن به لينال غفران الخطايا (أعمال ٢٦: ١٨).

كذلك جاء إليه بعض الأشخاص طالبين الشفاء لصديق مفلوج لهم (مرقس ٢: ١-١٢). ولما لم يستطيعوا الدخول إلى البيت الذي كان يسوع يُعلّم فيه، ثقبوا السقف ودلّوا صديقهم المفلوج. قدّر يسوع إيمانهم وتأثر به، لذلك قال للمفلوج: «يا بني مغفورة لك خطاياك». كان تفكير بعض الأشخاص الموجودين. شيئًا مثل: «يا للغطرسة ووقاحة الافتراض!» كيف يمكن ليسوع أن يعرف خطايا الرجل المفلوج؟ وكيف يمكنه أن يقدم الغفران كما لو كانت الخطايا التي ارتكبها هذا الشخص موجهة ضده كما هي ضد الله؟ كيف يغفرها وكأن لديه سلطانًا على هذا؟ كان جواب يسوع واضحًا.. فهو لم يكن متغطرسًا، وإنما كان يقول الصدق، وها هو الدليل: «لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا... قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك»، وهذا ما حصل. فدهشوا جميعًا ومجدوا الله!

كتب «أ. ت. روبرتسون»، عالم اللغة اليونانية، معلقًا على (مرقس ٢: ٧):

> "لقد اعتقد هؤلاء أن افتراض يسوع لهذا الامتياز أو الحق المقصور على الله وحده هو تجديف، وكان منطقهم صحيحًا. لكن العيب الوحيد هو استبعادهم إمكانية أن يكون ليسوع علاقة معينة مع الله تبرر تصريحه، وهكذا فإن الصراع هنا يدور حول قدرة يسوع على إثبات ألوهيته. لقد أدرك يسوع أنه مارس امتيازًا مقصورًا على الله بغفرانه خطايا الرجل المفلوج، فقام بشفائه مُقدمًا تبريرًا كافيًا لادعائه."

يقول «روبرت ألان كول» في تعليقه على هذه الفقرة من إنجيل مرقس، بأنه يمكن النظر إليها من عدة زوايا، لكنها تلتقي جميعًا لتعطي معنى واحدًا. وهو في شرحه للفقرة يعيد صياغتها:

"هناك طريقتان للنظر إلى هذه الفقرة، وأسلوبا التفسير مثمران (لهما معنى) لأننا إذا تابعناهما إلى مداهما فسيتداخلان ويصبحان خطًا واحدًا. يقول الخط الأول: هل تقولون إن الله وحده هو القادر على غفران الخطايا؟ لكني أريد أن أثبت لكم أن أمامكم إنسانًا يملك نفس القوة. وبهذا المنطق يقود الكتبة المفكرين إلى المعادلة والربط بين يسوع الإنسان والله."

يؤكد «جوش ماكدويل»، أحد مؤلفي هذا الكتاب، في محاضرة له حول الغفران:

"لقد أزعجني مفهوم الغفران مدة طويلة من الزمن، لأنني لم أفهمه. كنت يومًا أعطي محاضرة لطلاب الفلسفة، ووجّه إليّ أحد الطلبة سؤالاً حول لاهوت المسيح، فاستشهدت بالأعداد السابقة من الأصحاح الثاني من مرقس. عندها شكك أحد الطلبة في صحة الاستنتاج الذي توصلت إليه بأن غفران المسيح للرجل يُثبت ألوهيته، وذلك بأن قال إنه في إمكانه أن يسامح شخصًا دون أن يكون ذلك إثباتًا أنه يدّعي الألوهية. عندما فكرت فيما قاله الطالب الجامعي، عرفت السبب الذي جعل القادة الدينيين يثورون بهذه الحدة على يسوع. أجل، يستطيع المرء أن يقول: «أسامحك»، ولكن لا يمكن أن يقول ذلك إلا للشخص الذي وُجهت إليه الإساءة. فإذا أخطأت ضدي، بإمكاني أن أقول لك: «أسامحك»، لكن هذا لم يكن ينطبق على يسوع. فلقد أخطأ المفلوج ضد الله الآب، ثم جاء يسوع بسلطانه الخاص ليقول له مغفورة لك خطاياك. من المؤكد أننا نستطيع أن نغفر الإساءات الموجهة ضدنا،

لكن لا يستطيع أحد بأي حال من الأحوال أن يغفر الخطايا المرتكبة ضد الله إلا الله وحده.. وهذا ما قاله يسوع."

لقد كان سلطان يسوع على مغفرة الخطايا مثالاً مذهلاً لممارسته امتياز يخص الله وحده.

الرب شافيك

يقول الرب يهوه في خروج ١٥: ٢٦: «أنا الرب شافيك». على الرغم من أن الله أعطى موهبة الشفاء لعدة أشخاص عبر العصور، فإن أحدًا لم يَدَّعِ قط أنه يشفي بسلطانه الشخصي كما فعل يسوع. وقد آمن التلاميذ الأوائل بذلك السلطان، وشفوا أشخاصًا وأخرجوا شياطين باسم يسوع (متى ١٠: ١؛ مرقس ٩: ٣٨؛ لوقا ١٠: ١٧). أصاب هذا الأمر أعداؤه بالذعر (يوحنا ٩: ٢٤). فمَنْ هو الشخص العاقل الذي يمكن أن يقول إنه كان يشفي ويخرج الشياطين باسمه (سلطانه) الخاص؟ فهذا يكون بمثابة نزع المجد الذي يخص الله وحده.

قال يسوع إن له سلطانًا على القوى الشيطانية لأن هذا جزء من قدرته الشفائية (متى ١٢: ٢٢-٢٩)، وهي حقيقة أقرّت بها الشياطين المهزومة معترفة بأنه «قدوس الله» و«ابن الله» (مرقس ١: ٢٤؛ ٥: ٧؛ لوقا ٤: ٣٤). وقد اتفقت الكنيسة الأولى وعلّمت بأن كل الملائكة والرياسات والقوات خاضعة له (١بطرس ٣: ٢٢). وعندما تقابل بطرس في أعمال ٩: ٣٤ مع رجل مفلوج، دعا الرجل باسمه وقال له: «يا إينياس، يشفيك يسوع المسيح» فشفاه فعلاً. وهنا نجد أن يسوع الموجود في السماء يعمل عمل الشفاء– تمامًا مثل الله.

وهكذا يتكلم الكتاب المقدس بصوت قوي ونبرة عالية. لقد اتخذ يسوع لنفسه أسماءً وألقابًا لا يمكن أن تنطبق بحق إلا على الله، وبهذه الأسماء والألقاب دعاه آخرون: يهوه، والله، والألف والياء، والأول والآخر، والرب، والمُخلّص، والملك، والديّان، والفادي، والرب برّنا. يشترك يسوع مع الله في ألقاب مثل: «النور»، و «الصخرة»، و «الزوج» (العريس)، و «الراعي»، و «الخالق»، و «معطي الحياة»، و «غافر الخطايا»، و «الشافي».

طالما يسوع هو الله، فهو يحمل -بالإضافة إلى ألقاب الله وأسمائه- صفاتًا لا يمكن أن تكون إلا لله وحده.. فهل حَمَل هذه الصفات؟ وهل يُعلّم الكتاب المقدس ذلك؟

الفصل الثالث

يسوع المسيح
له كل صفات الله

الله متفرد.. فهو وحده غير مخلوق. هو خالق الكون كله وحافظه- أي إنه مصدر الخليقة وليس جزءًا منها. ونستطيع أن نرى عمل الله أو بصماته في الأشياء المخلوقة، لكن عمله ليس جزءًا من الله أو الله نفسه. على سبيل المثال، نقول بأن البشر كائنات شخصية؛ فنحن نستطيع أن نفكر ونقرر ونتصور ونحب. ونحن مخلوقون على صورة الله، الذي هو نفسه كائن شخصي، لكننا لسنا الله.

إذا كان يسوع المسيح هو الله حقًا، فلابد أن تكون له صفات الله- لا أن يعكسها فقط. لذلك سندرس في هذا الفصل خمس صفات مقصورة على الله، ونرى انطباقها على يسوع المسيح.

كليّ الوجود

الله موجود في كل شيء؛ والله بكامله -إذا جاز القول- موجود في كل مكان وكل نقطة في الكون. هذا هو المقصود بكونه كُلي الوجود، لكن إيماننا بأن الله موجود في كل شيء لا يعني أن كل شيء هو الله. فعندما نقول إن الله موجود في كل مكان في نفس الوقت، هذا لا يعني أنه موجود في كل شيء حسب المفهوم الهندوسي الذي يقول بأن كل الخليقة هي جزء من الله. على سبيل المثال، الله خلق الشجرة، ولكن الشجرة ليست جزءًا من الله.

كما أن الله كلي الوجود بمعنى شخصي (مزمور ١٣٩: ٧؛ أمثال ١٥: ٣)، وهو بهذا قادر على مساعدة أولاده، وتخليصهم، ومحبتهم، والدفا ع عنهم، وتسديد أعمق أشواقهم واحتياجاتهم. كذلك يصف العهد الجديد المسيح أيضًا بأنه كلي الوجود.. إذ قال بولس إن «الذي نزل هو الذي صعد أيضًا فوق جميع السموات، لكي يملأ الكل (كل شيء)» (أفسس ٤: ١٠). وقد قال المسيح لتلاميذه: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠). وأيضًا قال: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ٢٠). كما تقول كلمة الله إن المسيح يسكن قلوب كل الذين يضعون ثقتهم فيه (رومية ٨: ٩؛ غلاطية ٢: ٢٠؛ أفسس ٣: ١٧؛ كولوسي ١: ٢٧؛ رؤيا ٣: ٢٠). «... أم لستم تعرفون أنفسكم. (أي ألا تعرفون هذه الحقيقة عن أنفسكم؟) أن يسوع هو فيكم؟» (٢كورنثوس ١٣: ٥). فكيف يمكن لشخص فانٍ، سواء كان ممجدًا أم لم يكن، أن يدّعي بأنه يسكن في قلوب المؤمنين به في كل العالم؟

كلّي العلم

عندما نقول إن الله كُلي العلم، فإننا نعني أن الله يعرف كل شيء يمكن أن يُعرف، سواء كان أمرًا واقعًا أم محتملاً على مدى الأبدية. يقول «روبرت باسانتينو» في كتابه «طبيعة الله وصفاته»:

"معرفة الله كاملة وأبدية لكل الأشياء.. فالله يعرف كل ما

هو قابل للمعرفة. وتختلف معرفة الله الكلية عن المعرفة التي نكتسبها.. فنحن نعرف بالتعلُّم، أما الله فلا يمر بعملية التعلُّم حتى يعرف. كذلك لا يأتي علم الله الكلي نتيجة للتفكير المنطقي، أو الاستنتاج، أو استخدام الحواس، أو التصور، أو الاستقراء، أو الاستدلال. فمعرفته مباشرة، ودقيقة، وواضحة تتفق مع حقيقة الأمور. ولا توجد مادة للمعرفة إلا ويعرفها الله."

ويصور العهد الجديد المسيح على أنه كُلي العلم؛ أي عالم بكل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل. تقول لنا كلمة الله في يوحنا ٢: ٢٤، ٢٥ بأن يسوع «كان يعرف الجميع» لأنه علم «ما كان في الإنسان». أيضًا شهد التلاميذ له قائلين: «الآن نعلم أنك عالم بكل شيء» (يوحنا ١٦: ٣٠)، كما صرَّح بطرس قائلاً: «يا رب، أنت تعلم كل شيء» (يوحنا ٢١: ١٧). وتمشيًا مع معرفته الكلية، قال الكتاب المقدس بأنه عرف مَنْ سيخونه (يوحنا ٦: ٦٤).

يقول الدكتور «چون والفورد» في كتابه «يسوع المسيح ربنا» عن معرفة المسيح الكاملة:

"وبنفس الطريقة تتأكد لنا معرفة المسيح السابقة في فقرات ومواضع كتابية أخرى (يوحنا ١٣: ١، ١١؛ ١٨: ٤؛ ١٩: ٢٨). وتمشيًا مع عِلمه الكلي تقول كلمة الله بأنه يملك حكمة الله (١كورنثوس ١: ٣٠). ولا يمكن أن تنسب مثل هذه الصفات حتى إلى أكثر الأنبياء حكمة، وبل هي تمثل إذًا دليلاً آخر على أنه يمتلك كل الصفات الإلهية."

يقول «توماس شولتز»:

"تفوق معرفة المسيح أي كائن بشري بمراحل بعيدة.. فهو ليس مجرد شخص عبقري أو أكثر البشر حكمة. إذ تتجاوز حكمته كل المحدوديات أو القيود البشرية، ولا يمكن تصنيفها إلا كمعرفة كاملة. فهو أولاً: يعرف أفكار الإنسان الداخلية وذكرياته، وهي صفة مميزة لله (١ملوك ٨: ٣٩؛ إرميا ١٧:

٩-١٦). رأى الشر في قلوب الكتبة (متى ٩: ٤)؛ وعرف مسبقًا الذين سيرفضونه (يوحنا ١٠: ٦٤)، والذين سيتبعونه (يوحنا ١٠: ١٤). استطاع أن يقرأ قلوب الناس وأفكارهم (مرقس ٢: ٨؛ يوحنا ١: ٤٨؛ ٢: ٢٤، ٢٥؛ ٤: ١٦-١٩؛ أعمال ١: ٢٤؛ ١كورنثوس ٤: ٥؛ رؤيا ٢: ١٨-٢٣). ولا يستطيع البشر أن يفعلوا أكثر من تخمين ذكي لما في قلوب الآخرين وأفكارهم. ثانيًا: يمتلك المسيح معرفة لحقائق أخرى تتعدى قدرة أي إنسان على استيعابها. فقد عرف مكان السمك تمامًا في الماء (لوقا ٥: ٤-١٦؛ يوحنا ٢١: ٦-١١)، وعرف أية سمكة تحوي العملة المعدنية (متى ١٧: ٢٧)، كما عرف الأحداث المستقبلية (يوحنا ١١: ١١؛ ١٨: ٤)، والتفاصيل التي سيواجهها (متى ٢١: ٢-٤)، وعرف أن لعازر قد مات (يوحنا ١١: ١٤). ثالثًا: كانت له معرفة داخلية للذات الإلهية مُظهرًا أن له أوثق اتصال ممكن مع الله. وبالإضافة إلى المعرفة الكاملة، فهو يعرف الآب كما يعرفه الآب (متى ١١: ٢٧؛ يوحنا ٧: ٢٩؛ ٨: ٥٥؛ ١٠: ١٥؛ ١٧: ٢٥). رابعًا: يُعلم الكتاب المقدس أن المسيح يعرف كل الأمور والأشياء (يوحنا ١٦: ٣٠؛ ٢١: ١٧)، وأن كل كنوز الحكمة والمعرفة مذخرة فيه (كولوسي ٢: ٣).

كُلّي القدرة

يمكن ترجمة الكلمة العبرية «ايل شداي» (El Shaddai) إلى «الله القدير»، وهي تفيد أن الله كلّي القدرة أو كامل القوة. وقد شهدت معجزات المسيح لقدرته وقوته وسيطرته على العالم المادي، كما أن كلماته وقيامته تُعلنان سلطانه وقدرته على كل الخليقة.

يقول الدكتور «جون والفورد»:

"إن الدليل على قدرة المسيح الكلية حاسم مثله في ذلك

مثل بقية الصفات الإلهية. أحيانًا تأخذ هذه القدرة الشكل المادي، لكنها تشير في أحيان كثيرة إلى سلطانه على الخليقة. فالمسيح له القدرة على مغفرة الخطايا (متى ٩: ٦)، وله كل السلطان (القوة أو القدرة) في السماء وعلى الأرض (متى ٢٨: ١٨)، وله سلطان على الطبيعة (لوقا ٨: ٢٥)، وعلى حياته (يوحنا ١٠: ١٨)، وعلى إعطاء الحياة الأبدية للآخرين (يوحنا ١٧: ٢)، والمسيح له القدرة على أن يشفي الآخرين جسديًا، كما تشهد له معجزاته الكثيرة، بالإضافة إلى قدرته على إخراج الشيطان (مرقس ١: ٢٩-٣٤)، وعلى تغيير الأجساد البشرية (فيلبي ٣: ٢١). وأيضًا بفضل قيامته فهو «يقدر أن يُخلّص أيضًا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله» (عبرانيين ٧: ٢٥)، وأن «يحفظ وديعتي (ما أودعتكم إياه) إلى ذلك اليوم» (٢تيموثاوس ١: ١٢)، وهو «القادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل الدهور. آمين» (يهوذا ٢٤؛ قارن مع أفسس ٥: ٢٧). ويبدو أن النص اليوناني ليهوذا ٢٥ يوحي بأن هذا يحدث من خلال «يسوع المسيح ربنا»، أي إن الذي يحدثه هو الله الآب؛ لكن على أية حال فهناك حاجة لقدرة المسيح. كذلك فقد تعامل المسيح من خلال تجسده، وموته، وقيامته مع الخطيئة من أجل خلاصنا. لكن قدرته الكلية تقع داخل إطار ما هو مقدّس وحكيم وصالح (أي إنه لا يمكن أن يرتكب خطيئة لأن ذلك مناقض لطبيعته)."

أزلية الوجود

هناك صفة أخرى من صفات المسيح وهي مشاركته لله في الأزلية.. وذلك

توجد فقرات كتابية كثيرة تثبت وجود المسيح قبل ولادته، ليس كمجرد فكرة في علم الله السابق وإنما بمعنى وجود حقيقي.

قال يسوع: «خرجت من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يوحنا ١٦: ٢٨). كما أوضح مرارًا أنه أُرسل إلى هذا العالم- بمعنى أنه كان خارج هذا العالم (يوحنا ٣: ٣٢-٣٤؛ ٤: ٣٤؛ ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٦-٣٨؛ ٦: ٢٩، ٣٣، ٣٨؛ ٧: ١٦، ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٣؛ ٨: ١٨، ٢٩، ٣٨، ٤٢؛ ١٣: ٢٠؛ ١٦: ٣٠؛ ١٧: ٨... إلخ). لذلك قال لنيقوديموس: «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يوحنا ٣: ١٣). وقال «أنا هو ego eimi الخبز الحي الذي نزل من السماء...» (يوحنا ٦: ٥١؛ انظر أيضًا العدد ٥٨). وقال المسيح، «فإن (ماذا إذا) رأيتم ابن الإنسان صاعدًا إلى حيث كان أولاً!» (يوحنا ٦: ٦٢). وقال يوحنا المعمدان عن المسيح: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد» (يوحنا ٣: ٣١، ٣٢).

وصلّى يسوع مرة أخرى قائلاً: «والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يوحنا ١٧: ٥). وقد افترض كاتب الرسالة إلى العبرانيين الوجود السابق للمسيح عندما كتب أن موسى حسِبَ عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر (عبرانيين ١١: ٢٦). ويقول الكتاب المقدس في رؤيا ١٣: ٨ إن يسوع يملك «سفر الحياة منذ تأسيس العالم».

أما يوحنا المعمدان الذي وُلد قبل المسيح بستة أشهر فقال: «الذي يأتي بعدي صار قدامي (رتبة) لأنه كان قبلي» (يوحنا ١: ١٥، ٣٠)، ويشير العدد الثلاثون بكل وضوح إلى أن يوحنا المعمدان كان يقصد يسوع وليس «الله الآب» ومن المستحيل أن يكون يوحنا المعمدان يشير هنا إلى أن يسوع كان موجودًا في معرفة الله السابقة -كما يعتقد البعض- لأن الله الكلي المعرفة عرف يوحنا معرفة سابقة أيضًا.

يتحدث الكتاب المقدس بصوت موحَّد. فيسوع كائن أزلي، وهذا يتفق مع ظهورات الله في شكل مادي في العهد القديم. مثلاً تكوين ٤٨: ١٥، ١٦؛ وخروج ٤: ٢-٤ (بالإشارة إلى ٣: ٢)؛ وأخبار الأيام ٢١: ١٥-١٩؛ ومزمور ٣٤: ٦، ٧؛ وزكريا ١٢: ١٠ (بالإشارة إلى يوحنا ١٩: ٣٧)؛ ١٤: ٣، ٤ (بالإشارة

إلى أعمال ١: ٩-١٢). وهذه فقط بعض الفقرات الرئيسية الكثيرة التي تظهر أن الله ظهر ظهورًا ماديًا.

السرمدية .. الأزلية الأبدية

إله الكتاب المقدس إله أبدي، أي إنه يتجاوز الزمن، وهو مصدر الزمن. ولم يكن هناك زمن لم يكن فيه الله موجودًا، ولن يكون هناك زمن لا يكون الله فيه موجودًا (خروج ٣: ١٤؛ حبقوق ٣: ٦؛ تثنية ٣٣: ٢٦، ٢٧). ولا يوجد من هو أبدي إلا الله.

يسوع المسيح أيضًا أبدي.. فهو لم تكن له «بداية»، كما يدّعي شهود يهوه وجماعة الطريق الدولي أيضًا (ولحدٍ ما المورمونيون).

قال النبي ميخا متنبئًا عن ولادة المسيح: «مخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢)، كما تحدَّث إشعياء عن مولد المسيح فقال إنه يُدعى «أبًا أبديًا» (إشعياء ٩: ٦). ويمكن ترجمتها على نحو أفضل إلى «أبا الأبدية». قال يسوع: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يوحنا ٨: ٥٨)، والنص اليوناني يستخدم هنا صيغة المضارع لا الماضي فهو لم يقل: «أنا كنت». ويوضح «ف. ف. بروس» قائلاً: «لو كان للمسيح مجرد وجود سابق، لا أزلي أيضًا، لقال: قبل أن يكون إبراهيم كنت. لكن يسوع مضى خطوة أبعد من ذلك فتحدث عن نفسه باستخدامه تعبير «أنا كائن» أي الأبدي الدائم الوجود».

ويقول «جي كامبيل»: «تفيد الكلمات «أنا كائن» سرمدية الوجود السابق لكل الجنس العبري، الموجود في الكينونة الأبدية (الله).»

ويقدم «ويليام باركلي» تعليقًا هامًا فيقول:

> "يسوع لا زمني. لم يكن هناك وقت قط دخل فيه المسيح إلى حيّز الوجود، ولن يوجد وقت يتوقف فيه عن الوجود. لا نستطيع أن نقول عن يسوع: «لقد كان»، بل يجب أن نقول دائمًا: «إنه يكون» أو «إنه الكائن». ففي يسوع نرى لا زمنية الله، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، الذي كان قبل الزمن وسيظل بعده فهو دائم الوجود".

عدم التغيير (الثبات)

الله غير قابل أو معرَّض للتغير.. فعلى الرغم من أنه يعمل في الزمان، ويؤسس ويُغير علاقات في الزمان، فإن جوهره الذي يشمل صفاته لا يتغير أبدًا (ملاخي ٣: ٦؛ يعقوب ١: ١٧؛ مزمور ٣٣: ١١؛ إشعياء ٤٦: ٩، ١٠). لهذا نستطيع الاعتماد على محبته لنا اعتمادًا أبديًا وعلى حفظه لمواعيده. ومن الواضح أن يسوع مرّ في تغيرات تطورية بشرية، أما بالنسبة لطبيعته الإلهية فيؤكد الكتاب المقدس بكل شجاعة أن «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد» (عبرانيين ١٣: ٨)، وهو يشترك مع الآب في جوهر واحد لا يتغير.

وهكذا نرى أن هناك آيات كثيرة في الكتاب المقدس تكشف أن يسوع له كل صفات الله السرمدي.

الفصل الرابع

يسوع المسيح له سلطان الله

نرى

سلطان الله في يسوع عندما تحدَّث المسيح عن نفسه كشخص يستحق العبادة، وعندما قال إن له سلطانًا أن يقيم نفسه من الأموات. لقد تحدَّث يسوع بسلطان مهيب كالله نفسه.

قبوله للعبادة

إن موضوع العبادة في الكتاب المقدس هو أحد المواضيع الواضحة تمامًا.. فالعهدان القديم والجديد يؤكدان أن العبادة هي لله وحده. لذلك قال يسوع لإبليس عندما حاول أن يجربه: «للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠؛ لوقا ٤: ٨). ولا يصح لبشر أو ملاك أن يقبل العبادة (متى ٤: ١٠؛ رؤيا ١٩: ١٠؛ ٢٢: ٨، ٩). إذ لا يمكن أن يعطي الله مجده لآخر (إشعياء ٤٢: ٨).

يستخدم الكتاب المقدس بشكل رئيسي كلمة واحدة للعبادة وهي الكلمة اليونانية «بروسكونيو»، وهي الكلمة التي استخدمها يسوع في حديثه مع إبليس وإيضاحه وجوب عبادة الله وحده، واستُخدِمت أكثر من غيرها في وصف عبادة الله (يوحنا ٤: ٤٢؛ رؤيا ٥: ٤١؛ ٧: ١١؛ ١١: ٦١... إلخ).

كذلك قال رجل ليسوع بعد أن شفاه: «أؤمن يا سيد، وسجد له (أي عَبَدَهُ)»، والفعل المُستخدم هنا هو صيغة الماضي من كلمة «بروسكونيو» (يوحنا ٩: ٨٣)، وهي نفس الكلمة التي استُخدمت في متى ٤١: ٣٣ عندما سجد التلاميذ ليسوع (بمعنى عبدوه) بعد أن رأوه ماشيًا على الماء. وفي مرة أخرى عندما رأى التلاميذ يسوع قبل القيامة وبعدها، نجد في كل هذه الحوادث أن نفس يسوع الذي سبق أن انتهر الشيطان لمحاولته أن يجربه بالعبادة الخاطئة لم يرفض العبادة مُظهرًا استنكاره ورفضه التام لتقديم العبادة للشيطان، على أساس أن العبادة هي لله وحده بل يسوع قَبِل العبادة كحق له.

نجد في عبرانيين ١: ٦ أن الله يطلب من الملائكة أن تسجد ليسوع (بروسكونيو) أي تعبدهُ. كما نجد في رؤيا ٥: ٨-٤١ فقرة كاملة من التسبيح والعبادة مخصصة ليسوع «الحمل» ولله. كذلك صرَّح بولس في فقرة قوية بأن كل ركبة في السماء وعلى الأرض سوف تجثو للعبادة لاسم يسوع، ويعترف كل إنسان بأن يسوع رب (فيلبي ٢: ٠١، ١١).

لقد قُدمَت العبادة لابن الله من خلال أعمال لا حصر لها في العهد الجديد عندما أصبح ابنَ الإنسان نفسه هو موضوع الإيمان، والرجاء، والتوقير، والمحبة.

إن الشهادة الموحدة لكنيسة العهد الجديد وللكنيسة عبر القرون هي أن الله المثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس مستحق للعبادة.

السلطان لإقامة نفسه من الأموات

حتى عندما كان يسوع خاضعًا كإنسان للموت، قال بأن له سلطانًا لإقامة نفسه من بين الأموات، وهذه قوة لا يملكها إلا الله. قد يتساءل بعضهم: "إذا كان يسوع هو الله، فكيف يمكن أن يقيم نفسه؟" قال يسوع في يوحنا ٢: ٩١ «انقضوا هذا الهيكل (مشيرًا إلى جسده - العدد ١٢) وفي ثلاثة أيام أقيمه».

أما عن حياته فقال: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضًا» (يوحنا ١٠: ١٨).

تُكلّمه كالله

لم يكتف يسوع بأن ينسب إلى نفسه أسماء الله، وألقابه، وصفاته، وسلطانه بإقامة نفسه من بين الأموات وتلقي العبادة، لكنه نطق بأشياء لا يحق إلا الله أن ينطق بها. فعندما أرسل الفريسيون أشخاصًا للقبض عليه عاد هؤلاء خالين الوفاض، فسألهم الفريسيون عن السبب الذي منعهم من إلقاء القبض عليه، فكان جوابهم: «لم يتكلم إنسان قط هكذا مثل هذا الإنسان»، وكانوا على حق فيما قالوه.

من الصعب أن يقرأ المرء روايات الإنجيل دون أن يدهشه سلطان يسوع الإلهي؛ فقد دعا الناس أن يتبعوه، حتى إلى درجة التضحية بحياتهم من أجله. لقد تحدَّث بسلطان شخصي فريد.

كان المعلمون الآخرون في أيامه -كالكتبة والفريسيين- يستشهدون بالناموس والأنبياء (العهد القديم) لتثبيت ما يريدون قوله، لكن يسوع قال: «الحق الحق أقول لكم...» و «وأما أنا فأقول...». كذلك أكدت الأحداث سلطانه.. فقد هربت الشياطين بكلمة منه، كما سكنت الريح، وهدأ البحر خضوعًا لأمره، وأقام الموتى وجعل المقعدين يمشون، وفتح أعين العمي. لذلك كتب «سي. إس. لويس» في كتابه «المسيحية الخالصة»:

> "إن شخصًا عاديًا -مجرد إنسان- لم يكن ليقول مثل هذه الأمور التي تفوه بها يسوع، ولو حدث لما كان مُعلّمًا أخلاقيًا عظيمًا.. فإما أن يكون مجنونًا -على مستوى جنون شخص يقول إنه بيضة مقلية- أو أن يكون شيطان الجحيم نفسه. عليك أن تقرر بنفسك ما إذا كان هذا الشخص ابن الله، أو مجنونًا أو شيئًا أسوأ. تستطيع أن ترفضه كشخص أحمق، أو تبصق في وجهه وترفضه كشيطان، أو تسقط عند قدميه وتدعوه ربًا وإلهًا. لكن لا تتنازل فتقول كلامًا

فارغًا مثل أنه معلم أخلاقي عظيم؛ فهو لم يترك هذا كخيار أمامنا، ولم يكن ذلك قصده".

مفردات كتابية بالأسماء، والألقاب، والصفات التي تثبت أن يسوع ويهوه واحد «لكن لنا إله واحد...» ١كورنثوس ٨: ٦

الوصف	استخدامه إشارة لله	انطباقه على يسوع
يهوه «أنا هو» أو «أنا كائن»	خروج ٣: ١٤؛ تثنية ٣٢: ٣٩؛ إشعياء ٤٣: ١٠	يوحنا ٨: ٢٤؛ يوحنا ٨: ٥٨؛ يوحنا ١٨: ٤-٦
الله	تكوين ١: ١؛ تثنية ٦: ٤؛ مزمور ٤٥: ٦، ٧	إشعياء ٧: ١٤؛ ٩: ٦؛ يوحنا ١: ١، ١٤؛ ٢٠: ٢٨ أعمال ٢٠: ٢٨؛ تيطس ٢: ١٣؛ عبرانيين ١: ٨؛ ٢بطرس ١: ١
الألف والياء (الأول والآخر)	إشعياء ٤١: ٤؛ ٤٨: ١٢؛ رؤيا ١: ٨	رؤيا ١: ١٧، ١٨؛ ٢: ٨؛ رؤيا ٢٢: ٢-١٦
الرب	إشعياء ٤٥: ٢٣	متى ١٢: ٨؛ أعمال ٧: ٥٩، ٦٠؛ أعمال ١٠: ٣٦؛ رومية ١٠: ١٢؛ ١كورنثوس ٢: ١٨؛ ١٢: ٣؛ فيلبي ٢: ١٠، ١١

الوصف	استخدامه إشارة لله	انطباقه على يسوع
الرب	إشعياء ٤٥: ٢٣	متى ١٢: ٨؛ أعمال ٧: ٥٩، ٦٠؛ أعمال ١٠: ٣٦؛ رومية ١٠: ١٢؛ ١كورنثوس ٢: ١٨؛ ١٢: ٣؛ فيلبي ٢: ١٠، ١١
المُخلِّص	إشعياء ٤٣: ٣، ١١؛ ٦٣: ٨؛ لوقا ١: ٤٧؛ ١تيموثاوس ٤: ١٠	متى ١: ٢١؛ لوقا ٢: ١١؛ يوحنا ١: ٢٩؛ ٤: ٤٢؛ تيطس ٢: ١٣؛ عبرانيين ٥: ٩
الملك	مزمور ٩٥: ٣؛ إشعياء ٤٣: ١٥؛ ١تيموثاوس٦: ١٤-١٦	رؤيا ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦
الديان	تكوين ١٨: ٢٥؛ مزمور ٥٠: ٤، ٦؛ مزمور ٩٦: ١٣؛ رومية ١٤: ١٠	يوحنا ٥: ٢٢ ٢كورنثوس ٥: ١٠ ٢تيموثاوس ٤: ١
النور	٢صموئيل ٢٢: ٢٩؛ مزمور ٢٧: ١؛ إشعياء ٤٢: ٦	يوحنا ١: ٤، ٩؛ ٣: ١٩؛ يوحنا ٨: ١٢؛ ٩: ٥
الصخرة	تثنية ٣٢: ٣، ٤؛ مزمور ٨٩: ٢٦؛ ٢صموئيل ٢٢: ٣٢	رومية ٩: ٣٣؛ ١بطرس ٢: ٤-٨؛ ١كورنثوس ١٠: ٣، ٤

الوصف	استخدامه إشارة لله	انطباقه على يسوع
الفادي	مزمور ١٣٠: ٧، ٨؛ إشعياء ٤٨: ١٧؛ ٥٤: ٥؛ ٦٣: ٩	أعمال ٢٠: ٢٨؛ أفسس ١: ٧؛ عبرانيين ٩: ١٢
برّنا	إشعياء ٤٥: ٢٤	إرميا ٢٣: ٦؛ رومية ٣: ٢١، ٢٢
الزوج (العريس)	إشعياء ٥٤: ٥؛ هوشع ٢: ١٦	متى ٢٥: ١؛ مرقس ٢: ١٨، ١٩؛ ٢كورنثوس ١١: ١٢؛ أفسس ٥: ٢٥-٣٢؛ رؤيا ٢١: ٢، ٩
الراعي	تكوين ٤٩: ٢٤؛ مزمور ٢٣: ١؛ ٨٠: ١	يوحنا ١٠: ١١، ١٦؛ عبرانيين ١٣: ٢٠؛ ١بطرس ٢: ٢٥؛ ٥: ٤
الخالق	تكوين ١: ١؛ أيوب ٣٣: ٣٩؛ مزمور ١٠٢: ٢٥، ٢٦؛ إشعياء ٤٠: ٢٨	يوحنا ١: ٢، ٣، ١٠؛ كولوسي ١: ١٥-١٨؛ عبرانيين ١: ١-٣، ١٠
مُعطي الحياة	تكوين ٢: ٧؛ تثنية ٣٢: ٣٩؛ ١صموئيل ٢: ٦؛ مزمور ٣٦: ٩	يوحنا ٥: ٢١؛ ١٠: ٢٨؛ يوحنا ١١: ٢٥

الوصف	استخدامه إشارة لله	انطباقه على يسوع
غافر الخطايا	خروج ٣٤: ٦، ٧؛ نحميا ٩: ١٧؛ دانيال ٩: ٩؛ يونان ٤: ٢	مرقس ٢: ١–١٢؛ أعمال ٢٦: ١٨؛ كولوسي ٢: ١٣؛ ٣: ١٣
الرب شافينا	خروج ١٥: ٢٦	أعمال ٩: ٣٤
كلّي الوجود	مزمور ١٣٩: ٧–١٢؛ أمثال ١٥: ٣	متى ١٨: ٢٠؛ ٢٨: ٢٠؛ أفسس ٣: ١٧؛ ٤: ١٠
كلّي العلم	١ملوك ٨: ٣٩؛ إرميا ١٧: ٩، ١٠، ١٦	متى ١١: ٢٧؛ لوقا ٥: ٤–١٦؛ يوحنا ٢: ٢٥؛ ١٦: ٣٠؛ يوحنا ٢١: ١٧؛ أعمال ١: ٢٤
كلّي القدرة	إشعياء ٤٠: ١٠–١٣؛ ٤٥: ٥–١٣، ١٨	متى ٢٨: ١٨؛ يوحنا ١٠: ١٨؛ مرقس ١: ٢٩–٣٤؛ يهوذا ٢٤
الوجود السابق	تكوين ١: ١	يوحنا ١: ١٥، ٣٠؛ ٣: ١٣، ٣١، ٣٢؛ ٦: ٦٢؛ ١٦: ٢٨؛ ١٧: ٥
سرمدي (أزلي أبدي)	مزمور ١٠٢: ٢٦، ٢٧ حبقوق ٣: ٦	إشعياء ٩: ٦؛ ميخا ٥: ٢؛ يوحنا ٨: ٥٨

الوصف	استخدامه إشارة لله	انطباقه على يسوع
عدم التغيير	إشعياء ٦٤: ٩، ١٦؛ ملاخي ٣: ٦ يعقوب ١: ١٧	عبرانيين ١٣: ٨
متلقٍ للعبادة	متى ٤: ١٠؛ يوحنا ٤: ٢٤؛ رؤيا ٥: ١٤؛ ٧: ١١؛ ١١: ١٦	متى ١٤: ٣٣؛ ٢٨: ٩؛ يوحنا ٩: ٣٨؛ فيلبي ٢: ١٠، ١١ عبرانيين ١: ٦
متحدث بسلطان إلهي	«هكذا يقول الرب...» مُستخدَمة مئات المرات	متى ٥: ٢١، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٤؛ ٢٣: ٣٤-٣٧؛ يوحنا ٧: ٤٦ «الحق الحق أقول لكم...»

الفصل الخامس

أصبح الله إنسانًا في يسوع المسيح

يُعلِّم الكتاب المقدس أن يسوع كان إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً في نفس الوقت. قال بولس عن يسوع: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت (الله) جسديًا». فعلاقة يسوع مع الآب والروح القدس علاقة فريدة ضمن الثالوث الأقدس.

لقد اختار المسيح في تجسده طوعًا أن يضع نفسه تحت سلطان الآب. لم يفعل ذلك لأنه كان مضطرًا، لكن لأنه اختار ذلك كجزء من خطة الله. ويشرح بولس هذه الفكرة في فيلبي ٢: ٥-٨:

> «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله.لكنه أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد صائرًا، في شبه

الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب.»

إن تخلي يسوع عن مساواته بالآب هو إقرار بأنه كان مساويًا له. (الكلمة اليونانية المترجمة مساواة هنا مشتقة من جذر كلمة إيزوس المستخدمة في الهندسة لوصف المثلث المتساوي الساقين).

كذلك تُعلِّم هذه الفقرة أن يسوع كان موجودًا في هيئتين: الله (عدد ٦) وعبد (عدد ٧)، «وُجِدَ في الهيئة كإنسان». وتشير هذه الحقيقة التي ذكرها بولس إلى حدوث غير المتوقع- أي أن يصبح الله إنسانًا. ولا تشير كلمة «خُلسة» إلى أن يسوع كان يحاول إدعاء المساواة مع الله، بل إلى أنه -وهو المعادل لله- لم يتشبث بامتيازاته الإلهية وهو على الأرض. وعاش حياته الأرضية بقوة الله. لقد أصبح الله الابن الذي خضع (خضوعًا وظيفيًا وليس بالطبيعة) للآب إنسانًا آخذًا طبيعة بشرية بعد ذلك قدم بفعل هذا الخضوع بتقديم نفسه طوعًا ذبيحة من أجل خطايا العالم.

إن خضوع يسوع لا يتنافى مع مساواته الجوهرية للآب والروح القدس، إذ لابد أن يكون الله الابن من نفس طبيعة الله الآب. وهذا واضح في يوحنا ٥: ١٧، ١٨. يعلّق المفسّر «ليون موريس» على هذين العددين فيقول:

> "نقرأ أن يسوع شفى رجلًا كسيحًا في أورشليم يوم سبت، وأنه دخل في صراع عنيف مع قادة اليهود نتيجة لذلك. كان دفاع يسوع عن نفسه قائلًا: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يوحنا ٥: ١٧). ثارت ثائرة اليهود لأنه لم ينقض السبت فحسب، بل دعا الله أبًا له معادلًا نفسه بالله (عدد ١٨). لا تشير صيغة الفعل المستخدمة هنا «يعمل» و «أعمل» إلى حدث واحد منفرد، بل إلى ممارسة مستمرة. كما أن هذه الممارسة لم تكن بلا هدف، أو أنها تعزى إلى إهمال أو تقصير ديني أو ما شابه، فهي تنبع من فكرة يسوع عن علاقته بالآب السماوي. قد تصرف كما تصرف يوم السبت لأنه هو الابن. ولهذا رأى اليهود في نظرته للسبت أكثر من

مجرد كسر لإحدى الوصايا، ولكن تجديفًا من أخطر نوع: «معادلاً نفسه بالله»، ولهذا اضطهدوه."

وكما كان الآب يعمل باستمرار (المعنى المتضمن في العمل هو حفظ الكون وما شابه) كان يسوع يعمل بطريقة مماثلة- ليس كخادم يطيع الآب، لكن على قدم المساواة مع الآب. يقول الأستاذ «أي. و. هينجستبرج»:

"كانت فكرة استمرار الله في العمل يوم السبت، بشكل لا يقل عن عمله في أي يوم آخر، أمرًا معروفًا لدى اليهود في زمن المسيح. فالراحة في السبت كما هو مُبين في تكوين ٢: ٣ تشير بكل جلاء إلى عمل الخلق ذاته. وهذا ما فهمه اليهود تمامًا. فالراحة المُشار إليها تتعلق بالسبت الأول. أما العمل الإلهي اللاحق فلا يعرف تمييزًا بين الأيام. كذلك كان واضحًا أن يسوع يدعو الله أباه بطريقة تختلف عن تلك التي يدعوه بها كل الشعب اليهودي أبًا (إشعياء ٥٤: ٧). وقد أدرك اليهود ذلك من النتيجة التي توصل إليها يسوع حول تلك العلاقة، وهي أن بنوته الفريدة لله هي التي تجعله يعمل جنبًا إلى جنب مع الآب."

يقول يسوع إنه كما أن الآب يعمل، فالابن أيضًا يعمل. ولم يكن اختياره للكلمات مصادفة، فقد قصد بالسبت الراحة لا العمل، ولأنه كان قد شفى لتوه شخصًا في السبت مُريحًا إياه من مرضه. لكن يسوع تابع كلامه ليقول إنه والآب، أباه الخاص الفريد، يعملان. فكما أن الآب يحفظ الكون باستمرار، يقوم يسوع أيضًا باستمرار بحفظ الكون (انظر أيضًا كولوسي ١: ١٦). لكن هذا الأمر كان تجديفًا بالنسبة لليهودي.

لقد فهم اليهود ما قصده المسيح بقوله إن الله أبوه على نحو فريد خاص. لم يقصد يسوع، كاليهود، بأن الله هو «أبونا» بمعنى عام تحت رباط العهد الذي قطعه معهم. لكنه باستخدام تعبير «أبي» قصد بأنه يتمتع بعلاقة خاصة، وفريدة، وطبيعية مع الآب.

ما سيحدث. وعندما يحدث ذلك تكون نهاية العالم قد أتت.. فعندما يدخل كاتب المسرحية إلى المسرح ويمشي على خشبته يكون ذلك إعلانًا بانتهاء المسرحية. ويوما سوف يغزو الله العالم، لكن ما نفع قولك يومئذ إنك تقف في صفه- عندما ترى كل الكون المادي ينصهر ويذوب مثل حلم. وهناك شيء آخر -شيء لم يخطر ببالك قط- مودٍ وجميل جدًا بالنسبة لبعضنا، لكنه فظيع جدًا بالنسبة للبعض الآخر بحيث لا يعود لأي منا خيار. يومئذ لن يكون الله متخفيًا، وسيسبب ذلك لكل شخص إما فيضًا من المحبة أو رعبًا لا يطاق، وسوف يكون قد فات الأوان لتحدد الجانب الذي تنضم إليه."

يسوع المسيح الابن

تستخدم كلمة الابن في الكتاب المقدس بطرق عديدة ومختلفة، تدل أحيانًا على البنوة الجنسية وأحيانًا أخرى على البنوة بشكل مجازي. وهناك كلمتان يونانيتان تترجمان في العربية بكلمة «ابن» هما: «تيكنون» و«هيويوس». كلمة «تيكنون»، وهي الكلمة المعادلة لكلمة ولد، مشتقة من جذر كلمة لها علاقة بالولادة، ويمكن ترجمتها إلى ابن أو ابنة أو ولد. لكن الكلمة اليونانية الثانية «هيويوس» فيمكن أيضًا استخدامها حرفيًا، لكنها كانت تستخدم بشكل واسع جدًا كما تقول «موسوعة سترونج الشاملة» «للدلالة على القرابة المباشرة أو المجازية.»

وقد استخدمت كلمة ابن للإشارة إلى يسوع أربعة استخدامات مختلفة على الأقل: ابن مريم، وابن داود، وابن الإنسان، وابن الله. تصف هذه التعابير الأربعة علاقة يسوع الطبيعية مع الآب والجنس البشري.

ابن مريم: كان ليسوع، حسب طبيعته البشرية، أم فقط بلا أب- هي مريم. ويسوع الناصري بهذا المعنى هو ابن أو ولد حرفيًا وجسديًا.

ابن داود: يستخدم الكتاب المقدس في هذه الحالة كلمة ابن (هيويوس)، ويُنظر إلى تعبير ابن داود عادةً على أنه تعبير مجازي، لأن يسوع ليس

ابنًا مباشرًا لداود (انظر متى ٢٢: ٤٢-٤٥). غير أن ذلك يمكن أن يعني أيضًا أن يسوع كان من ذرية داود، وأنه وريث له.

ابن الإنسان: تعبير ابن الإنسان تعبير يهودي مميز استُخدِم أولاً في العهد القديم، وقد استخدم العهد القديم كلمتين للدلالة على الإنسان -آدم ونوس استُخدمت كلمة نوس -وهي كلمة عبرية تعني الناس- بشكل عام، أي للجنس البشري، لذلك يمكن لأي فرد أن يُدعى ابن الإنسان. على سبيل المثال أُشير للنبي حزقيال تسعين مرة بتعبير ابن الإنسان. لكن هذه العبارة بدأت تأخذ أبعادًا مسيّانية (أي متعلقة بالمسيح المنتظر) كما هو الحال في دانيال ٧: ١٣، ١٤.

أما في العهد الجديد فقد قُصِرَ استخدام هذا التعبير على يسوع، إلا في عبرانيين ٢: ٦-٨ حيث استُخدم للدلالة على الجنس البشري بشكل عام. فبينما استخدمها العهد القديم بشكل عام، استخدمها يسوع بطريقة مجازية قائلاً إنه «ابن الإنسان» الوحيد. ولم يستخدم هذا التعبير إلا ثلاث مرات خارج الأناجيل (أعمال ٧: ٥٦؛ رؤيا ١: ١٣؛ ١٤: ١٤) بينما استُخدِم اثنين وثلاثين مرة في متى، وخمس عشرة مرة في مرقس، وعشرين مرة في لوقا، واثنتي عشرة مرة في يوحنا. وقد جاء هذا الاستخدام في كل مرة على فم يسوع نفسه، باستثناء يوحنا ١٢: ٣٤ عندما سأله أحدهم عما قصده بلقب ابن الإنسان.

يظهر الاستخدام المتكرر لهذا التعبير في كل مرحلة من مراحل حياة المسيح: خدمته العامة، ومعاناته، وآلامه، وتمجّده مستقبلاً. وقد استمر يسوع في الأناجيل الأربعة يعطي معنى كاملاً بشكل تدريجي لهذا اللقب.

يبدو أن استخدام يسوع لهذا اللقب يسير في خطين يقدّمان فكرتين: أولاً: يكشف لنا استخدام تعبير ابن الإنسان شخصًا إلهيًا. فقد استخدمه يسوع لإظهار سلطانه على مغفرة الخطايا (متى ٩: ٦؛ مرقس ٢: ١٠؛ لوقا ٥: ٢٤)، وكونه رب السبت (متى ١٢: ٨؛ مرقس ٢: ٢٨؛ لوقا ٦: ٥). والتركيز هنا هو على سلطان المسيح. (وهنا إشارة واضحة إلى أن يسوع قصد أن له سلطانًا لا يملكه إلا الله وحده. ويمكننا أن نرى أيضًا التركيز على البعد الإلهي في استخدام يسوع لهذا التعبير بالنسبة لتمجّده مستقبلاً).

ثانيًا، يكشف لنا استخدام تعبير ابن الإنسان شخصًا بشريًا. ومما لا شك فيه أن استخدام يسوع لهذا اللقب يشير إلى إنسانيته وألوهيته معًا. ونرى ذلك بطريقتين هامتين في الأناجيل الأربعة: أولاً، يُستخدم هذا اللقب للإشارة إلى المسيح وهو منشغل بما يمكن أن يُسمى عمله اليومي (متى ١١: ١٩). ثانيًا، يستخدم هذا اللقب للإشارة إلى المسيح فيما يختص بآلامه وموته (مرقس ٨: ٣١). إن فكرة كون المسيح إنسانًا تؤذن بحقيقة أنه لابد أن يموت في نهاية الأمر، وهذا مفهوم وجد اليهود صعوبة في تصديق انطباقه على مسيحهم المنتظر. ثالثًا: لم يُقدِّم يسوع نفسه كابن الإنسان الذي لابد له أن يتألم ويموت فحسب، لكنه قدَّم نفسه أيضًا على أنه ذاك الذي سوف يعود للمجد (متى ٢٤: ٣٠؛ مرقس ١٤: ٦٢؛ لوقا ١٧: ٢٢؛ ١٨: ٨؛ ٢٢: ٦٩.... إلخ).

عندما حوكم يسوع أمام السنهدريم اليهودي ورئيس الكهنة، قيافا، قدَّم نفسه على أنه «ابن الإنسان» المشار إليه في دانيال ٧: ١٣، ١٤:

> «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدامه. فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سُلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض.»

سأل قيافا يسوع: «أأنت المسيح ابن المبارك (الله)؟ فقال يسوع: أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء.» (مرقس ١٤: ٦١، ٦٢). لقد قدَّم يسوع بتصريحه هذا تأكيدًا قويًا عن مجيئه ثانية بمجد عظيم ليدين الأرض ويحكمها. ومن الجدير بالملاحظة أن هناك دلالة خاصة لقبول يسوع لقبي «ابن المبارك» و«ابن الإنسان» معًا في لقائه مع قيافا (قارن يوحنا ٣: ١٥-١٧).

يشرح «جليسون أرتشر» سبب ضرورة تمتع المسيح المنتظر بالطبيعتين الإنسانية والإلهية:

> "يثير هذا الأمر سؤالاً حول أهمية دلالة لقب «ابن الإنسان». لماذا قُدِّم المسيح ككائن بشري ممجد بدلاً من أن يُقدَّم كملك المجد الإلهي؟ الجواب موجود في ضرورة التجسد التي لا

غنى عنها من أجل فداء الإنسان.. لم يكن ممكنًا أن يُكفر عن خطايا الجنس الآدمي الساقط الخاطئ إلا حامل خطايا يمثل البشر بوصفه كائنًا بشريًا حقيقيًا مثلهم يبذل حياته من أجلهم. والتعبير الذي يستخدمه العهد القديم للفادي هو «يهو إيل» الذي يعني ضمنيًا «الفادي القريب». وهذا كان لابد أن تربطه قرابة دم بالشخص الذي تَبنّى قضيته وسدَّد حاجته، مهما كانت هذه القضية أو الحاجة، سواء كانت افتداءه من الرق أو العبودية (لاويين ٤٨: ٢٥) أو تحرير ممتلكاته المرهونة (لاويين ٢٥: ٢٥)، أو الاعتناء بأرملته التي لم ترزق ذرية (راعوث ٣: ١٣)، أو الانتقام من قاتله (عدد ٣٥: ١٩).

أعلن الله نفسه لإسرائيل بوصفه «يهو إيل» للشعب الذي قطع عهدًا معهم (خروج ٦: ٦؛ ١٥: ١٣؛ إشعياء ٤٣: ١؛ مزمور ١٩: ١٤)؛ لكن قبل أن يصبح الله إنسانًا من خلال معجزة التجسُّد والميلاد العذري، كان أمرًا غامضًا على شعب الله القديم كيف يمكن أن يصبح «يهو إيل» لهم، أي فاديًا قريبًا من نفس جنسهم. صحيح أن الله كان لهم أبًا بالخلق، لكن «يهو إيل» تشير إلى علاقة دم على مستوى مادي جسدي. وهكذا كان لابد أن يصبح الله إنسانًا مثلنا حتى يفدينا من الخطية وعقابها: «والكلمة صار جسدًا وحل بيننا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب، مملوءًا نعمة وحقًا» (يوحنا ١: ١٤).

لم يكن ممكنا أن يغفر الله لنا خطايانا ما لم يُدفع ثمنها كاملاً؛ وإلا لكان متواطئًا مع كل خرق وانتهاك لشريعته المقدسة وحاميًا له. ولم يكن ممكنًا إيجاد كفارة كافية عن خطايا الجنس البشري إلا بأن يصير الله إنسانًا– وهذا ما فعله الله في المسيح. لأنه لا يمكن إلا لإنسان حقيقي أن يمثل الجنس البشري تمثيلاً صحيحًا. لكن كان لابد لفادينا

أن يكون –في ذات الوقت– الله، لأن وحده هو الذي يقدر أن يقدم ذبيحة ذات قيمة لا متناهية، للتعويض عن عقاب الهلاك الأبدي في الجحيم الذي تستحقه خطايانا حسب مطالب العدالة الإلهية المقدّسة. لم يكن في مقدور أحد غير الله أن يجد طريقة تُمكّنه من الحفاظ على عدالته في نفس الوقت الذي يصبح فيه مبرِّرًا (معطيًا البر والقبول) للخطاة الفجار (رومية ٤: ٥) بدلًا من إرسالهم إلى الهلاك الأبدي الذي يستحقونه.. لأن هذا الإنسان الكامل هو أيضًا الله غير المحدود الذي قدّم ذبيحة فعلية فعّالة لكل المؤمنين في كل العصور.“

يأخذ تعبير «ابن الإنسان» أكمل أبعاده عندما يأخذ المرء في اعتباره الإشارة إلى دانيال ٧: ١٣. فهذا اللقب –وبدون أدنى شك –مسيّاني (مرتبط بالمسيح المنتظر)، وقد صرح المسيح بأنه هو الشخص المشار إليه في دانيال ٧: ١٣. ويبدو أن اليهود فهموا أن هذا هو لقب المسيح المنتظر، لكنهم لم يقبلوا التوكيدين اللذين أضافهما يسوع إلى مفهومهم عن المسيح المنتظر. أولاً: رأى اليهود في النبوءات القديمة مسيحًا منتصرًا، لا مسيحًا متألمًا، وكان تركيزهم ينصب على منقذ سياسي لا روحي. غير أن يسوع قدم لهم ابن الإنسان على أساس أنه مسيح متألم، مسيح أتى ليموت. ثانيًا: لم ينظر قادة اليهود إلى المسيا المنتظر على أنه الله المتجسد. فادعاء أحدهم بأنه المسيح المنتظر شيء، وادعاؤه بأنه المسيح ذو الطبيعة الإلهية شيء مختلف تمامًا.

تلخيصًا لما سبق نقول إن «ابن الإنسان» الذي كان لقبًا غامضًا بالنسبة لمعاصري يسوع، كان لقبًا ثريًا بالمعاني والمضامين التي تبصّر الناس بطبيعة المسيح الفادي القريب، والخادم المتألم، والديّان القادم، وحاكم العالم.

ابن الله

نأتي الآن إلى تعبير «ابن الله». تُرى.. كيف يمكننا أن نفهمه؟ إن كون يسوع المسيح هو ابن الله، الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس، أمر جوهري

لعقيدة التجسد. وابن الله في الكتاب المقدس هو يسوع، وليس الآب أو الروح القدس. فالآب لم يتجسد، والروح القدس لم يصبح إنسانًا أيضًا، لكن الابن هو الذي تجسد. يتساءل بعض الناس حول كلمة «ابن» ويفسرونها، حيثما تظهر، بالمعنى الحرفي- أي ابن يولد من أب وأم. ووفقًا لهذا التصور لا يمكن أن يكون يسوع هو الله لأنه كان ابن الله بالمعنى الحرفي. ويقول بعضهم محاولين استغلال فكرة أن يسوع ابن: "هل سمعت مرة أن هناك ابنًا لم تكن له بداية؟" وهم يحاولون بهذا المقارنة بين الابن «المخلوق» مع «الآب غير المخلوق». لكن بالتأكيد يمكننا أيضًا أن نقلب السؤال قائلين: "هل سمعت مرة أن هناك أبًا ليست له بداية؟" يمكن استخدام «ابن (هيويوس) الله» للدلالة على لاهوت المسيح الكامل، تمامًا كما رأينا أن تعبير «ابن الإنسان» يشير إلى إنسانيته الكاملة (ولاهوته أيضًا).

ابن الإنسان = إنسانية كاملة (ولاهوت كامل)

ابن الله = لاهوت كامل

يقول «و. جي. تي. شيد»: "تدل تسمية «الابن» المعطاة للأقنوم الثاني على علاقة ملازمة متأصلة جوهرية أبدية". ويحاول «شيد» أن يقول إنه إذا كان الآب أبديًا، فلابد أن يكون الابن كذلك. أو كما أوضح «شولتز» قائلاً: "لا تدل بنوّة المسيح وأبوّة الأقنوم الأول على نقص في الجوهر أو المركز."

كذلك يوضح بويتنر نقطة هامة:

> "لقد أوضحنا في تناولنا السابق لعقيدة الثالوث أن تعبيري «الآب» و«الابن» لا يحملان في اللغة اللاهوتية أفكارنا الغربية عن مصدر كينونة وتفوق من ناحية (الآب) والخضوع والاعتماد من ناحية أخرى (الابن). لكنهما يحملان الأفكار السامية (التي لجنس بني سام) والشرقية عن المشابهة، وتماثل الطبيعة، والمساواة في الكينونة. وبطبيعة الحال، فإن التعابير المستخدمة في الكتاب المقدس تعابير سامية تفترض وعي الشعوب السامية لمدلولاتها.. فحينما يدعو

الكتاب المقدس المسيح «ابن الله» يؤكد على لاهوته الحقيقي الصحيح؛ إذ تشير هذه التسمية إلى علاقة فريدة لا يمكن أن تُعزى إلى مخلوق أو يشترك فيها شخص فانٍ. فكما أن أي ابن بشري يُشبه أباه في طبيعته الجوهرية التي هي إنسانيته، كذلك فإن المسيح -ابن الله- يشبه أباه في طبيعته الجوهرية التي هي اللاهوت، أو الطبيعة الإلهية."

ويسهب شولتز فيقول:

"وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس يطلق على أشخاص آخرين لقب «أبناء الله» مثل الملائكة، وآدم، وحزقيال، والمؤمنين بالمسيح يبقى المسيح هو «الابن» بمعنى فريد مقصور عليه دون غيره. ويلاحظ «جريفيث توماس» أن لقب «ابن الله» موجود في أشكال مختلفة في اللغة اليونانية.. فقد يُستخدم أحيانًا مضافة إليه ال التعريف في بداية الكلمتين «الابن الله»، وأحيانًا بحذف ال التعريف من الكلمتين «ابن إله». والصيغة الأولى لقب ألوهية، وهي مستخدمة خمس وعشرين مرة في العهد الجديد عن المسيح. كذلك فهم اليهود من اتخاذ يسوع لهذا اللقب ما يحاول المسيح أن يقوله عن نفسه، فأدانوه بسبب المعاني المتضمنة فيه (متى ٢٦: ٦٣؛ لوقا ٢٢: ٧٠؛ يوحنا ١٩: ٧). لم يكن يسوع يقصد فقط أنه المسيح، ولكنه قصد أيضًا أنه الله. لم يصنف الرب يسوع المسيح بنوته لله مع بنوة الآخرين له. لقد تحدَّث عن هذا الموضوع بتفصيل حتى يُبقي كلاً من البنوتين مميزًا ومنفصلاً (يوحنا ٢٠: ١٧)، ومن الواضح أن التلاميذ فهموا أن المسيح كابن الله هو الله الأبدي."

على ضوء ذلك يتضح لنا أن الاستخدامات المختلفة للقب «ابن الله» تشير إلى حقيقة التجسد، أي إن الله أصبح إنسانًا. وبينما يعني تعبير «ابن الإنسان» أن المسيح إنسان، فإن تعبير «ابن الله» يعني أنه الله.

الفصل السادس

شهادة الكنيسة الأولى

إن شهادة الكنيسة المسيحية الأولى واضحة في دعم ألوهية المسيح. ولقد أثبتت كتابات آباء الكنيسة والمدافعين عن الإيمان المسيحي، وبعضها مترجمة ومتوفرة لدينا اليوم، إيمانهم بهذه العقيدة التي تسمو على كل عقيدة غيرها. أشار آباء الكنيسة في كتاباتهم إلى أن المسيح "سرمدي"، وهو "الله المتجسد"، و"الخالق"، وإنه يملك صفات سرمدية أخرى مقصورة على الله وحده. وفيما يلي مقتطفات من بعض كتاباتهم:

• **بوليكاربس** (٦٩-١٥٥م): هو مطران كنيسة سميرنا، وتلميذ الرسول يوحنا، وقد كتب يقول: "أصلي أن يبنيكم إله وأبو ربنا يسوع المسيح رئيس الكهنة السرمدي نفسه، الله يسوع المسيح في الإيمان...".

• **إغناطيوس** (توفى عام ١١٠م): رئيس كنيسة أنطاكيا وكان معاصرًا لبوليكاربوس وكليمندس وبرنابا، واستشهد في إحدى مسارح المدرجات الرومانية. كتب إغناطيوس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة أفسس عن المسيح على أنه "إلهنا يسوع المسيح".

وفي رسالة أخرى حثّ إغناطيوس بوليكاربوس على أن "ينتظر ذاك الذي هو فوق كل زمان، السرمدي غير المنظور، الذي صار منظور من أجلنا. الذي تألم من أجلنا."

وأضاف قائلاً في رسالته إلى مؤمني مدينة سميرنا إنه "... إن كانوا لا يؤمنون بدم المسيح، (الذي هو الله)، فإن الدينونة تنتظرهم أيضًا."

وفيما يلي مقتطفات من ترجمة «كيرسوب ليك» للآباء الرسوليين:

رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس I، تحيات- "... يسوع المسيح إلهنا..."

رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس I:1 - "... بدم الله..."

رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس VII: 2 - "... الذي هو الله في الإنسان..."

رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس XVII:2 - "... تلقى معرفة الله، أي يسوع المسيح..."

رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس XIX:3 - "... لأن الله ظهر كإنسان...".

رسالة إغناطيوس إلى أهل مدينة ماغنيسيا XI:1 - "... المسيح الذي كان من الأزل مع الآب."

رسالة إغناطيوس إلى أهل مدينة تراليا VII:1 - "... من الله، من يسوع المسيح...".

رسالة إغناطيوس إلى أهل روما، تحيات- "يسوع المسيح، إلهنا" (مرتين).

رسالة إغناطيوس إلى أهل روما III:3 - "... إلهنا، يسوع المسيح."

رسالة إغناطيوس إلى أهل روما VI:3 - "... يسمح لي أن أتبع مثال آلام إلهي."

رسالة إغناطيوس إلى أهل سميرنا I:1 - "يسوع المسيح، الله."

رسالة إغناطيوس إلى بوليكاربوس VIII:3 - "... إلهنا يسوع المسيح."

الرسول برنابا - "ابن الله، مع أنه كان الرب..."

يقول الباحث والمؤلف «چون ويلدون»: "إن حقيقة عدم تعرُّض إغناطيوس

للتوبيخ أو اتهامه بالهرطقة من قِبل أي شخص أو من الكنائس التي أرسل إليها رسائله تبيّن أن الكنيسة الأولى -قبل وقت طويل من عام ١١٥م- كانت مجمعة على قبول لاهوت المسيح."

• **إيرينيوس** (١٢٥ - ٢٠٠م): هو أحد تلاميذ بوليكاربوس، وشرح في مؤلفه ضد الهرطقات (٤: ١٠) كيف أن موسى رأى المسيح مرات كثيرة، وأن المسيح هو الذي كلم موسى من العُليقة. تحدَّث إيرينيوس عن علاقة المسيح بالله الآب: "فقد كان دائمًا حاضرًا معه كلمة الحكمة، الابن، الذي بواسطته وبه، بحرية وتلقائية، خلق كل الأشياء، الذي يقول له أيضًا، نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا."

• **الشهيد جوستين** (١١٠ - ١٦٦م): أحد المدافعين عن الإيمان بأسلوب العلماء والباحثين، قال: "لقد قلت وأعدت، مرارًا كافية، إنه عندما يقول إلهي: «صعد الله من عند إبراهيم»، أو «كلم الرب موسى»، و«فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما»، أو «وأغلق الرب على نوح في الفلك»، فإن عليك ألا تتصور أن الله غير المولود نزل أو صعد إلى أي مكان. لأن الآب تعالى ورب الكل لا يأتي إلى مكان، أو يمشي، أو ينام، أو يصحو". لم يرَ إبراهيم وإسحق ويعقوب الرب الذي يتعالى عن كل وصف، وإنما "ابن الله" الذي كان أيضًا نارًا عندما تحدَّث مع موسى من العليقة". وأضاف: "لقد تحدَّث مسيحنا مع موسى من تحت النار التي ظهرت في العليقة". فالذي كلَّم موسى لم يكن هو أبا الكون؛ وإنما "يسوع المسيح"، "ملاك الله والرسول"، "والذي هو أيضًا الله". نعم "إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأهية الذي أهية".

• **كليمنت** (توفى عام ١٠١م): أسقف روما.. استشهد بقول من زكريا ١٤: ٥، وطبقه على ربنا يسوع المسيح: «ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معه»؛ ويطبّق عليه أيضًا عددين من ملاخي ١: ١١، ١٤ يشيران إلى يهوه، ويتحدث عن "ربنا يسوع المسيح صولجان جلال الله"، والسيد الذي يأتي بغتة إلى هيكله؛ ولقد تكلم الله في العهد القديم من خلال الروح القدس.

هذه مقتطفات قليلة جدًا من بين كتابات كثيرة من كتابات الآباء التي كان يمكننا إيرادها للاستشهاد بها.

وإذا حدث أن ادعى أحد أن هذه الوثائق مزيفة، فإن عليه أن يقدِّم البرهان على ذلك؛ فالبَيِّنة على مَنْ ادعى، إذ يجب عليه أن يُدعم اتهاماته ويقدِّم كتابات تاريخية موثوقة من الكنيسة الأولى تقول إن المسيح ليس الله. ولم يتوصل أحد بعد مئات السنين من البحث والاستقصاء إلى وجود شخص قال بهذا قبل آريوس (بداية القرن الرابع).

ثانيًا: بالنسبة لموضوع إمكانية العبث بالكتاب المقدس وإضافة عقائد هامة فيما بعد، فإنه يمكن إعادة كتابة العهد الجديد كما هو موجود اليوم -باستثناء أحد عشر عددًا- وذلك من خلال الاستشهاد بكتابات آباء الكنيسة الأوائل قبل عام ٣٢٥م، ناهيك عن آلاف المخطوطات الكاملة أو الجزئية للعهد الجديد التي نملكها باللغتين اليونانية واللاتينية. إن الكتاب المقدس كما هو موجود بين أيدينا اليوم هو أكثر وثيقة تاريخية قديمة أدبية موثوقة في العالم، ولو حذفنا كل الأعداد التي تُعلّم عن لاهوت المسيح، فسوف يصبح العهد الجديد صورة زائفة بالية تكذّب كل الحقائق التاريخية.

كذلك فإن أول حادثة مسجلة لشخص مسيحي يُنكر لاهوت المسيح وقعت عام ١٩٠م، عندما أشار بائع جلود بيزنطي اسمه ثيودوتس إلى إنكاره للمسيح بقوله: "لم أنكر الله، ولكن إنسانًا..." ولم تصبح مسألة لاهوت المسيح قضية لاهوتية كبيرة ضمن الكنيسة إلا في (٣١٨ - ٣٢٠م)، عندما علَّم كاهن من الأسكندرية يدعى آريوس بإنكار ألوهية المسيح. والضجة التي أحدثتها هذه القضية دليل قوي على أن الكنيسة، حتى ذلك الوقت، لم تكن تشك في لاهوت المسيح. وإلا لتم تجاهل تعليم آريوس على أساس أنه أمر عادي. لقد صيغت العقائد التي كان يؤمن بها المؤمنون أثناء هذا الجدل، بما في ذلك إيمانهم بأن المسيح هو الله، خلال قرنين ونصف من الاضطهاد القاسي. وقد دعي مجمع نيقية (عام ٣٢٥م) للاجتماع لإيجاد حل إكليركي (كنسي) لهذه المسألة. وبعد ثلاثة أشهر من التفكير المتروي المجهد، أكد المجمع ألوهية المسيح، وطُرد آريوس والكاهنان الآخران اللذان ناصراه على أساس أنهم هراطقة.

يقول بعضهم إن الإمبراطور قسطنطين فرض الموقف الأرثوذكسي على المجتمعين في مجمع نيقية، وإن المسيحيين خضعوا لرغباته خوفًا من سطوته. لكن هذا غير صحيح.. فالحقيقة هي أنهم هم الذين أثّروا فيه وحملوه على تغيير

رأيه في الإيمان المسيحي؛ إذ تُحدثنا السجلات التاريخية أن قسطنطين حين رأى جراح المؤمنين وآثار التعذيب الذين تعرضوا له بسبب إيمانهم بالمسيح بدأ في تقبيل تلك الجروح وآثارها. وما كان لهؤلاء المؤمنين الذين فقد معظمهم عيونهم وأطرافهم من أجل إيمانهم، ليخضعوا لأي ضغط شرير من قسطنطين.

آمن آريوس وأتباعه بوجود المسيح السابق لولادته، وبإنه هو الذي خلق العالم. ولم تكن القضية المطروحة في مجمع نيقية هي ما إذا كان يسوع "إنسانًا" فقط، وإنما كانت "هل المسيح هو الله أم مجرد إله؟" وعلى الرغم من طرد آريوس، فقد تمكَّن من التأثير على كثير من أعضاء الكنيسة في فترات متقطعة لسنوات كثيرة بعد مجمع نيقية. وقد تعرَّض أثناسيوس زعيم الموقف الأرثوذكسي أثناء هذه الفترة، والذي أصبح فيما بعد أسقف الأسكندرية، للنفي خمس مرات من جماعة آريوس، ولم يتم إخراس هذه المعارضة بشكل نهائي إلا عام ٣٨١م في مجمع القسطنطينية.

ولا يزال قانون الإيمان النيقوي، الذي تمت صِيغ وسط الاضطراب والجدل، حجرًا أساسيًا لاهوتيًا للكنيسة.

يقول «مارك نول» عن قانون الإيمان النيقوي:

> "استدعى الإمبراطور قسطنطين العظيم عام ٣٢٥ قادة الكنيسة إلى بلدة صغيرة عبر بحر مرمرة من عاصمته القسطنطينية (استانبول حاليًا)، فقد انزعج للانشقاق الديني الذي يمكن أن يهدد وحدة إمبراطوريته. انصب الجدل على تعاليم أحد المسئولين الصغار في كنيسة الأسكندرية في مصر. وكانت النتيجة أنْ قدَّم لنا هؤلاء الأساقفة، الذين اجتمعوا في نيقية للحكم على تعاليم ذلك الكاهن، قانونًا للإيمان المسيحي جديرًا بالتذكُّر."

لم يكن هذا الإقرار الإيماني، الذي تم تعميمه فيما بعد، أول تعريف رسمي للثالوث الأقدس في مواجهة التعليم الهرطوقي فحسب، لكنه كان أيضًا أول قانون يحوز على إجماع كامل في الكنيسة. (ولا يزال مستخدمًا اليوم في اجتماعات العبادة في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية واللوثرية والأسقفية وباقي الكنائس البروتستانية الإنجيلية). وتكمن أهمية هذا القانون في شهادته القوية التي لا يشوبها غموض حول طبيعة يسوع الفريدة كمُخلِّص العالم.

توضح العقائد التي علّمها آريوس الميل الموجود عبر التاريخ المسيحي لإخضاع حقائق إعلان الله عن نفسه من خلال الكتاب المقدس وفي المسيح لتصورات "المنطق" السائدة. قال آريوس: "إذا كان الله الآب مطلق الكمال، ومطلق السمو، ومطلق الثبات، وإذا كان منشيء كل الأشياء دون أن يكون ذاته صادرًا عن أي شيء آخر فمن الواضح أن كل شيء وكل شخص آخر في العالم منفصل عن الله." ويضيف آريوس "إذا كان كل شيء منفصلاً عن الله، فلابد إذًا أن يكون يسوع أيضًا منفصلاً عن الله."

يقول آريوس إن يسوع المسيح لعب دورًا متميزًا في خلق العالم المادي وفدائه، لكنه ليس الله ذاته. فلا يمكن إلا أن يكون هناك إله واحد، ولهذا فلابد أن يكون المسيح قد خُلق في زمن ما. ولابد أن يكون المسيح (ككل الخليقة) مُعرَّضًا للتغير والخطيئة، وأنه (مثل كل الكائنات المخلوقة) لا يملك معرفة حقيقية لفكر الله.

أدرك مجمع نيقية مدى خطورة التهديد الذي يُشكله تعليم آريوس للإيمان المسيحي، كما أدركوا أيضًا شأن طبقة المنطق الخفيفة الخادعة التي يمكن أن تظهر هذا المنطق مقبولاً. ولهذا اتفق المجمع على التوكيدات التالية لتفند فكر آريوس:

(١) المسيح إله من إله (حرفيًا ذات الله من ذات الله). يسوع نفسه هو الله، بنفس المعنى الذي يكون فيه الآب الله، وأي تمييز بين الآب والابن يجب أن يشير إلى الوظيفة الخاصة التي يقوم بها كل أقنوم منهما أو حسب العلاقة التي تربط كلاً منهما بالآخر- لكن الآب والابن والروح القدس هم كلهم الله حقًا.

(٢) المسيح مساوٍ للآب في الجوهر (حرفيًا يشارك الآب نفس جوهره). والكلمة المستخدمة المترجمة نفس الجوهر هي «هومو أو سيوس» (هومو = نفس، أوسيوس = جوهر)، أثارت جدلاً كبيرًا، لكنه اتُفق عليها لتأكيد حقيقة أن المسيح "مساوٍ للآب في الجوهر" بشكل واضح لا لبس فيه. فقد كان المقصود منها تلخيص تعليم المسيح نفسه «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠).

(٣) يسوع مولود غير مخلوق. أي إن المسيح لم يخلق في أية مرحلة من الزمان، لكنه هو ابن الله منذ الأزل.

(٤) تجسد المسيح من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا. لقد كان عمل المسيح موجهًا لخلاص البشر، خلاصًا لم يكن ممكنًا تحقيقه لو كان المسيح نفسه مجرد مخلوق. يوضح الكتاب المقدس بشكل قاطع وبدون اعتذار أن الجنس البشري خاطئ، وأن العالم مخلوق وعاجز عن دفع نفسه إلى السماء بقوته الذاتية.. فالخلاص من الله.

واجه إقرار الإيمان النيقوي معارضة كثيرة. فقد رفض كثير من الأريوسيين التخلي عن عقائدهم حتى عند مواجهتهم ببيان الإيمان العقائدي النيقوي الذي يترجم الحق الكتابي. وقد أزعج استخدام كلمات لم تستخدم في الكتاب المقدس (مثل هومو أو سيوس) مؤمنين كثيرين كما أزعجتهم وجود كلمات مثل "جوهر" تستخدم غالبًا بشكل غامض. لكن عندما أوضح أثناسيوس، وغيره من المعارضين للآريوسيين، أن الجوهر الواحد أو المساواة في الجوهر لا تُنكر الوجود المستقل لكل من أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس والعمل المستقل لكل منهم، بدأ قانون الإيمان يكتسب قبولاً بشكل تدريجي.

لا يزال قانون الإيمان النيقوي حتى يومنا هذا حاجزًا واقيًا ضد هذا النوع من التخمين اللاهوتي الذي يُمجِّد حكمة الإنسان فوق إعلان الله عن يسوع المسيح. وهو بمثابة قطارة واضحة لتعليم الكتاب المقدس حول طبيعة المسيح الإلهية، وتجسده كإنسان، وعمل الخلاص الذي صنعه من أجل البشر. وأخيرًا، عندما يستخدم هذا البيان العقائدي كدليل للعبادة المسيحية أو الكرازة المسيحية، فإنه يمكن أن يصبح أيضًا أداة يستطيع الروح القدس من خلالها أن يحول حقائق الإيمان المسيحي إلى واقع الحياة المسيحية."

قانون الإيمان النيقوي

نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى.

وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد بالروح القدس ومن مريم العذراء، وصار إنسانًا وصُلب

عنا على يد بيلاطس البنطي، تألم ومات ودفن، وقام في اليوم الثالث حسب الكتب، وصعد إلى السماء. وهو جالس عن يمين الآب وسيأتي أيضًا بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه.

و (نؤمن) بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن يُسجد له ويُمجد، الناطق بالأنبياء والرسل، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحده لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات والحياة الأخرى. آمين. (أضيفت الفقرة الثانية في عام ٣٨١م).

وهناك مقالة بعنوان "لاهوت المسيح" في موسوعة «زوندرفان» لتفسير الكتاب المقدس تقول:

> "إن أوضح وأكمل تعبير عن لاهوت المسيح موجود في القانون النيقوي الذي تمت صياغته أصلاً في مجمع نيقية عام ٣٢٥. نقرأ فيه "رب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور، إله من إله، مولود غير مخلوق". نجد هنا كل جهد ممكن لتوضيح أن يسوع يتمتع بنفس جوهر الله "الله من الله". وترتبط بكلمة "لاهوت" كلمة أخرى أكثر عمومية ألا وهي "ألوهية"، وكلمة "لاهوت" وهي أقوى الكلمتين، والكلمة المطلقة. إذ يمكن أن يُقال إن هناك قبسًا من الألوهية في كل إنسان؛ لكن لا يمكن أن يقال نفس الشيء عن اللاهوت."

لم يُصرح بمثل هذه الأمور عن نفسه إلا يسوع المسيح. فتصريحاته عن نفسه تتضمن فكرة أن ما يُعلّمه هو ما يُعلّمه الله نفسه، وأن ما عمله لا يمكن أن يقوم به إلا الله وحده، وأن هناك في شخصيته الكاملة وحدة مطلقة مع الله، وتوكيده لنفسه على أي نحو كان هو توكيد لله. لابد أن يكون أي شخص يدّعي لنفسه ما ادّعاه يسوع إما شخصًا مجنونًا منحرفًا وصادقًا فيما ذهب إليه. وبما أن الاحتمال الأول لا يمكن أن تقوم له قائمة في ضوء الأدلة الأخرى المتوفرة، فإن المرء يتبين أن الخيار الثاني هو الصحيح- ألا وهو أن المسيح هو "إله من إله" كما صرّح عن نفسه."

كذلك عُقِدَ لاحقًا مجمع خلقيدونية عام ٤٥١. وقد تم في هذا المجمع وضع وصف رسمي دقيق للعقيدة الكتابية بأن يسوع المسيح أقنوم إلهي واحد ذو طبيعتين. من المهم أن ندرك أن هذه المجامع التي عقدها المؤمنون لم تكن لتكريس مواقف لاهوتية برزت لتوها، لكنها عُقِدت للرد على مواقف الذين عارضوا الموقف الكتابي الأرثوذكسي (التقليدي السليم) الذي سبق أن آمنوا بصحته.

وعلينا أن نتذكر أنه مع توسع الكنيسة في تلك الأيام، لم تكن هناك وسائل إعلام إلكترونية أو وسائط نقل جوية لنشر المعلومات أو لضمان التعليم الدقيق. لذلك اعتمد الناس على أشخاص أتقياء في إيصال المعلومات، أشخاص يستخرجون الكلمة بدقة وفاعلية. وقد ساهمت المجامع الكنسية كأساس لتلك العملية التي سهّلها وجود ممثلين عن التجمعات الرئيسية للمؤمنين في الإمبراطورية. وهكذا، فإن الذي يشهد للاهوت المسيح ليس الكتاب المقدس وحده، لكن تاريخ الكنيسة أيضًا.

الفصل السابع

ما هي بعض الاعتراضات على ألوهية المسيح؟

يقدم بعض الناس اليوم عددًا من الاعتراضات الشائعة حول مسألة لاهوت المسيح، أو بالأحرى يواجهون صعوبات عقلية في فهمها. لذلك دعونا نناقش باختصار في هذا الفصل بعضًا من هذه الاعتراضات أو الصعوبات، خاصة تلك التي تصدر عن أشخاص مطلعين على تصريحات ومصطلحات كتابية.

"أبي أعظم مني"

قال يسوع: «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤ : ٢٨). قد يقول بعضهم: "لابد أن ذلك يثبت أن مكانة يسوع هي –نوعًا ما– أقل من مكانة الله". وهذه هي إحدى الصعوبات التي تُثار.

صحيح أن يسوع، في دوره كعبد أثناء وجوده على الأرض، أخذ منزلة أقل من الله. غير أن هذه المنزلة لا تنفي طبيعته الإلهية؛ ففي ذلك الأصحاح نفسه قال يسوع لفيلبس: «الذي رآني فقد رأى الآب. فكيف تقول أرنا الآب؟» (يوحنا ١٤: ٨، ٩). يوضح هذا التصريح أن يسوع والآب واحد في الطبيعة، وأن رؤيتنا لواحد منهما تعني رؤيتنا للآخر (قارن يوحنا ١٢: ٤٤، ٤٥). لهذا كان قول يسوع إن الآب أعظم منه يشير إلى مركزه المؤقت لا إلى كينونته ووجوده.

وفيما يلي نستشهد بما قاله «آثر و. بينك» في شرحه لإنجيل يوحنا:

> "«أبي أعظم مني».. هذا هو العدد المفضل لدى مَنْ يرفضون الإيمان بالثالوث الأقدس، وينكرون لاهوت المسيح المطلق ومساواته الكاملة للآب. عندما قال المخلص ذلك كان قد أخبر التلاميذ لتوّه بأنه عليهم أن يفرحوا لأنه ذاهب إلى الآب، ثم شرح سبب قوله مصرِّحًا بقوله «لأن أبي أعظم مني». لنضع هذا الأمر نصب أعيننا بشكل واضح، وستختفي كل صعوبة، فكون الآب أعظم من المسيح هو السبب المحدَّد الوقتي الذي يوجب على التلاميذ أن يفرحوا لأن سيدهم ذاهب إلى الآب. هذا هو الذي يحدد فورًا معنى كلمة «أعظم» المختلف عليها، ويظهر لنا السياق والمعنى الذي استخدمت فيه. لم تكن المقارنة التي أجراها بين الآب وبينه تتعلق بالطبيعة، وإنما بالصفة الرسمية والمركز الرسمي.
>
> لم يتحدث المسيح عن نفسه في كينونته الجوهرية، فالذي لم يتشبث بمساواته لله «لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله» أخذ شكل عبد، وليس هذا فحسب بل صار في شبه الناس. لقد كان المسيح من هاتين الناحيتين، ناحية وضعه الرسمي كوسيط وناحية اتخاذه للطبيعة البشرية، أقل منزلة من الآب. يُقدّم لنا الرب يسوع في حديثه هذا وفي الصلاة التي تلته في الأصحاح السابع عشر على أنه عبد الآب الذي تلقى منه مأمورية، وعليه أن يُقدّم له حسابًا عنها، لأنه

عمل من أجل مجده وتكلَّم تحت سلطانه. لكن هناك ناحية أخرى ذات صلة أكثر بالموضوع.. فعندما تجسَّد الابن وحلّ (خيّم) بين الناس، وضع نفسه بشكل كبير، وذلك باختياره النزول إلى العار والآلام في أشد أشكالها. لقد أصبح الآن ابن الإنسان الذي ليس له مكان يسند فيه رأسه.. فالذي كان غنيًا افتقر لأجلنا، صار رجل الأوجاع والأحزان ومختبرًا الأسى. على ضوء هذا، أجرى المسيح مقارنة بين وضعه ووضع الآب في السماء. فقد كان الآب جالسًا على عرش الجلالة الفائق السمو، لم يخسف بريق مجده، كان محاطًا بالجند المقدسين الذين يقدمون له العبادة والتسبيح باستمرار. أما الأمر بالنسبة للابن المتجسد، فكان الوضع مختلفًا جدًا- إذ كان محتقرًا ومرفوضًا من الناس، محاطًا بأعداء حقودين قساة القلوب، منتظرًا أن يُسمّر قريبًا على صليب المجرمين. بهذا المعنى أيضًا، كان الابن أقل من الآب، وبذهابه إلى الآب سيتحسن وضعه إلى درجة هائلة، ويكون ذلك كسبًا أو ربحًا لا يمكن التعبير عنه. لقد كانت المقارنة إذًا بين وضعه الحالي المتسم بالتواضع وحالته الممجدة القادمة لدى الآب. ولهذا كان يجب على الذين يحبونه أن يتهللوا للخبر السار عن ذهابه إلى الآب، لأن الآب أعظم منه، أعظم من حيث وضعه الرسمي ومن حيث الظروف المحيطة. فقد كان المسيح يتحدث عن وجوده في وضعية العبد مقارنة بالعظمة التي للآب الذي أرسله.»

الله الآب هو "رأس" المسيح

نجد أن نفس علاقة «أعظم وأقل» موضحة في ١كورنثوس ١١: ٣ «ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل،

ورأس المسيح هو الله». نجد في هذا العدد ثلاث مقارنات: الرجل مع المسيح، والرجل مع المرأة، والمسيح مع الله. والمقارنة الثالثة بين المسيح والله هي موضوع المناقشة هنا. قد يقول قائل: "رأس المسيح هو الله! ألا يبدو أن ذلك يتحدث عن تفوق؟» علينا أن نلاحظ أن المقارنة تتعلق بأنماط سلطة لا عن نقص أو تفوق؛ بمعنى أن المسيح قد اختار الخضوع لقيادة الآب أثناء وجوده على الأرض حتى يستطيع أن يتوحد مع الجنس البشري.

خضوع يسوع للآب

هناك عدد آخر يظهر علاقة المسيح مع الآب. وهو أيضًا يثير أسئلة. «ومتى أُخضع له (يسوع) الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أُخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل» (١كورنثوس ١٥: ٢٨). فعل «أخضع» هنا لا يعني عدم المساواة بين الأقانيم وإنما فرقًا في الأدوار. فالخضوع لا يشير إلا إلى الوظيفة، ولا تعني الطاعة مستوى أدنى.

دعونا نفكر في الأمر جيدًا.. حتى يكفّر الله عن خطايا الإنسان، كان لابد لأحد ما أن يُخضِع نفسه للموت. لكن لا يمكن أن يقوم بذلك إلا مَنْ كانت له قدرة غير محدودة على التكفير عن الخطية، أي شخص كامل. كان لابد أن تتوفر لديه قدرة غير محدودة على التكفير، لأنه سيبذل دمه عن كل البشر. كذلك كان لابد أيضًا أن يتصف بالكمال لأن الله لا يقبل إلا الذبائح غير المعيبة. ومَنْ يستطيع أن يقوم بذلك؟ الله وحده. وهكذا فقد سفك الله الابن دمه من أجلنا (أعمال ٢٠: ٢٨). والطاعة هنا هي الكلمة المحورية.

> «فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارًا» (رومية ٥: ١٨، ١٩).

كان لابد للمسيح بوصفه إنسانًا كاملاً أن يكون مطيعًا لله ويحقق خطة

الله لفداء البشرية. لذلك خضع طوعًا -بمقتضى تلك الخطة- لله الآب حتى ينقذ البشرية من انفصال أبدي عن الله.

يسوع مولود

يقول بعضهم إن تعبير «ابنه الوحيد»، وهو أصلاً ابنه المولود الوحيد، الوارد في يوحنا ٣: ١٦ (أيضًا ١: ١٤، ١٨؛ ٣: ١٨) ينفي لاهوت المسيح، لأنه يوحي بأنه مجرد كائن مخلوق كغيره. غير أن تعبير المولود الوحيد لا يعني «المخلوق»؛ فكلمة مولود، كما هي مستخدمة في إنجيل يوحنا، تعني الفريد أو المبارك بشكل خاص أو المفضّل. يوضح «سي. إس. لويس» معنى «مولود» إيضاحًا وافيًا فيقول:

> "تقول إحدى العقائد الإيمانية إن يسوع المسيح هو ابن الله وإنه «مولود غير مخلوق»، وتضيف مولود من الآب قبل كل الدهور (لعل يقصد قانون الإيمان). وأرجو منكم أن تفهموا فهمًا واضحًا أن هذا الأمر لا علاقة له إطلاقًا بحقيقة ولادة المسيح على الأرض كإنسان وكونه ابنًا من عذراء. فنحن لا نتحدث الآن عن الميلاد العذراوي. نحن نتحدث عن شيء حدث قبل أن تُخلق الطبيعة نفسها، وقبل بدء الزمان. فالمسيح مولود، غير مخلوق «قبل كل الدهور». فما الذي يعنيه ذلك؟
>
> كلنا نعرف معنى كلمة «يلد» و «مولود». فكلمة «يلد» أو «ينجب» تعني أن يصبح الكائن أبًا لمن يلده، أما كلمة يخلق فتعني يصنع. والفرق هو ما يلي: فعندما تلد أو تنجب، فإنك تلد شيئًا من نفس نوعك. فالإنسان ينجب أطفالاً بشريين، والأرانب تنجب أرانب صغيرة، والطير يضع بيضًا يتحول إلى طيور صغيرة. لكنك حينما تصنع، فإنك تصنع شيئًا مختلفًا في نوعه عن ذاتك. فالطير يصنع عشًا، والقندس سدًا، والإنسان جهاز تليفزيون- أو ربما يصنع شيئًا أقرب

شبيهًا بذاته من التليفزيون، ولنقل إن هذا الشيء هو تمثال. فإذا كان نحاتًا بارعًا، فإنه قد يستطيع أن يصنع تمثالاً قريبًا جدًا في شبهه من الإنسان. لكنه بطبيعة الحال لن يكون إنسانًا حقيقيًا، فهو سيبدو فقط مثل الإنسان، ولن يستطيع أن يتنفس أو يفكر ولن تكون فيه حياة.

يجب أن يكون هذا واضحًا تمامًا في أذهاننا. فما يلده الله هو الله، تمامًا كما أن ما يلده الإنسان هو إنسان. وما يخلقه الله ليس الله، تمامًا كما أن ما يصنعه الإنسان ليس الإنسان. ولهذا فإن البشر ليسوا أولاد الله بنفس المعنى الذي به المسيح ابن الله. قد يكونون مثل الله من نواحٍ معينة، لكنهم ليسوا أشياء من نفس النوع. فهم أقرب إلى أن يكونوا تماثيلَ أو صورًا لله.

للتمثال شكل الإنسان، لكنه ليس كائنًا حيًا. وبنفس الطريقة، للإنسان (بمعنى سأشرحهُ فيما بعد) شبهًا بالله، لكنه لا يملك نفس الحياة التي يملكها الله. لنأخذ الآن النقطة الأولى (شبه الإنسان بالله). أولاً، لكل شيء خلقه الله شبهًا به. فالفضاء يشبهه في ضخامته واتساعه -ولا نقصد بذلك أن عظمة الله هي نفس عظمة الفضاء- ولكنها نوع من الرمز لها أو ترجمة لها بتعابير غير روحية. والمادة تتشبه الله في تمتعها بالطاقة، على الرغم من أن الطاقة المادية تختلف بالتأكيد اختلافًا كاملاً عن قوة الله. والعالم النباتي يشبه الله لأنه حي، والله هو «الإله الحي»، لكن الحياة، بهذا المعنى البيولوچي، ليست نفس الحياة الموجودة في الله، بل مجرد رمز أو ظل لها. وعندما نأتي إلى الحيوانات، نجد أنواعًا أخرى من الشبه بالإضافة إلى الحياة البيولوچية: كما نجد -على سبيل المثال- في النشاط المكثف والتكاثر في الحشرات شبهًا ضعيفًا جدًا بنشاط الله وإبداعه الدائمين، كما نجد في الثدييات العليا بدايات المحبة الغريزية. وهي ليست نفس المحبة الموجودة في الله، لكنها تتشبهها بنفس

> الطريقة التي يمكن لصورة مرسومة على ورقة مسطحة أن تشبه منظرًا طبيعيًا. وعندما نأتي إلى أسمى التشبيهات، الإنسان، فإننا نكون أمام أكمل شبه نعرفه بالله. (وقد تكون هناك عوالم أخرى أو كائنات أخرى، أكثر شبهًا بالله من الإنسان، لكننا لا نعرف عنها). فالإنسان لا يحب فحسب ولكنه يفكر أيضًا، والحياة البيولوچية تصل فيه إلى أعلى مستوى معروف."

نقرأ في عبرانيين ١١: ١٧ أن إسحق يدعى وحيد إبراهيم (حرفيًا ابنه المولود الوحيد) على الرغم من أنه كان لإبراهيم ابنان إسحق وإسماعيل. وهكذا نجد أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستخدم تعبير «مولود» ليُعبِّر عن معنى «أنه فريد، ومبارك بشكل خاص أو مفضل». وينطبق نفس الأمر على يوحنا ٣: ١٦ (والفرق الوحيد هو أن لله ابنًا واحدًا بينما كان لإبراهيم ابنان).

وتعبير «المولود الوحيد» مترجم عن كلمة «مونوجينيس» المكونة من كلمتين: الكلمة الأولى هي مونو وتعني «مفرد فقط، وحيد وحده». والكلمة الثانية هي «جينيس» وتعني «ذرية، ابن، نوع، جنس، فصيلة». إنها كلمة مُركّبة وتعني أنه «نوع فريد» أو «الابن الوحيد من جنسه».

يسوع كان إنسانًا

قد يشكل قول الكتاب المقدس الواضح إن يسوع كان إنسانًا حجر عثرة يمنع البعض من قبول لاهوته. فنحن نقرأ مثلاً: «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح» (١تيموثاوس ٢: ٥). كما تتحدث رومية ٥: ١٢-٢١ عن الخطية التي كفَّر عنها الإنسان يسوع المسيح (عدد ١٥).

على الرغم من أن الكتاب المقدس يُعلِّم فعلاً أن يسوع كان إنسانًا، فإنه يُعلِّم أيضًا أنه الله. كان إنسانًا، وُلد من العذراء مريم، لكنه كان أيضًا الله (يوحنا ١: ١؛ ١٤: ٢٠-٢٨؛ كولوسي ٢: ٩؛ تيطس ٢: ١٣؛ ٢بطرس ١: ١؛ عبرانيين ١: ٨). وقد أكد بولس على لاهوت يسوع عندما قال إنه لم يأخذ رسالته من إنسان، وإنما من يسوع المسيح (غلاطية ١: ١). لقد كان يسوع

إنسانًا، ولكنه كان أيضًا «يهوه» و«ابن الله» و«رب الأرباب» و«ملك الملوك» و«الألف والياء» و«الأول والآخر».

دُعيَ يسوع بكر الخليقة

تسبب كلمة «بكر» الارتباك لبعض الناس، إذ يعتقدون أنها لابد أن تعني «المخلوق الأول». وهذا يعني لهم أن يسوع لم يكن إلا كائنًا مخلوقًا، غير أزلي أو أبدي مثل الله. غير أن كلمة «بكر» لا تعني أول مخلوق. فعندما صرح بولس أن المسيح هو «بكر كل خليقة» (كولوسي ١: ١٥)، استخدم الكلمة اليونانية «بروتوتوكوس» التي تعني الوريث الأول رتبة، ولو قصد أن يقول «أول مخلوق» لاستخدم الكلمة اليونانية التي تفيد ذلك المعنى وهي «بروتوكتستوس». والكتاب المقدس لا يقول في أي موضع منه أن الله «خلق» يسوع.

كتب «لويس سبري شيفر» في كتابه لاهوت شخص المسيح: "يشير هذا اللقب الذي يترجم أحيانًا «بكر» إلى أن يسوع هو البكر الرئيس في علاقته مع كل الخليقة، لا أول شيء مخلوق، وإنما السابق والمتقدم لكل الأشياء وسببها أو علتها أيضًا (كولوسي ١: ١٦). لم يكن ممكنًا أن يكون أول كائن مخلوق وفي نفس الوقت العامل الذي ظهرت كل الخليقة به إلى الوجود كما تقول كلمة الله. فإذا كان هو العامل في كل الخليقة، لا يمكن أن يكون هو نفسه مخلوقًا.

يسوع والله واحد في الاتفاق أو القصد

قال يسوع: «أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد.» (يوحنا ١٠: ٢٨-٣٠). هل كان يسوع يقول إنه واحد مع الله أو أنه نفس الله، أي إنه يحمل نفس جوهر الله (كما أن الثلج والماء واحد في الطبيعة)؟ أم كان يقول إن وحدته مع الله هي وحدة اتفاق أو انسجام في القصد أو الهدف؟ لا شك أن النص يشير إلى الفرضية الأولى.

أولاً: لقد فهم اليهود الذين كان يسوع يخاطبهم -والذين كانوا ثقافيًا في وضع يسمح لهم بتفسير كلماته أفضل من أي شخص يعيش بعد ألفي سنة-

أنه يعني أنه الله. «فتناول اليهود أيضًا حجارة ليرجموه... لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا (حرفيًا الله)» (يوحنا ١٠: ٣١، ٣٣).

ثانيًا: كلمة «واحد» المستخدمة في قوله: «أنا والآب واحد» هي في اليونانية كلمة «هِن» التي تدل على الحيادية من حيث الجنس، ولا تدل على المذكر كما تدل كلمة «هيس». هذا يشير إلى أن يسوع والآب واحد من حيث الجوهر، فلو استخدم يسوع صيغة المذكر «هيس» لقصد أنهما شخص (أقنوم) واحد، مما كان ينفي التمييز الشخصي بين الآب والابن.

يعكس لنا ما تبقى من الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا رد فعل يسوع على تهمة التجديف. بالنسبة ليهودي متمرس في الشريعة كانت كلمات يسوع تعني شيئًا، أما بالنسبة لأي شخص غير مطّلع على الفهم اليهودي للعهد القديم، فقد تكون هذه الفقرة صعبة عسرة الفهم، خاصة فيما يتعلق بقضية لاهوت المسيح. تقول كلمة الله:

> «أجابهم يسوع: "أليس مكتوبًا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنك تُجدّف، لأني قلت: إني ابن الله؟ إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه. فطلبوا أيضًا أن يمسكوه فخرج من أيديهم» (يوحنا ١٠: ٣٤-٣٩).

يرجع قدر كبير من الارتباك إلى استخدام يسوع كلمة آلهةً. فهل كان يقصد، «مادام أن هناك أشخاصًا آخرين قد دُعوا آلهة، فما الذي يمنع أن أدعو نفسي ابن الله؟» (وعندها يؤكد بنفسه بشكل غير مباشر أنه إنسان لا إله)؟

نجد عبارة «أنا قلت إنكم آلهة» في مزمور ٨٢: ٦، وكلمة آلهة المستخدمة في المزمور هي الكلمة العبرية «إيلوهيم» (إيلوه تعني إله، ومقطع إيم صيغة للجمع). والإشارة إلى الله بكلمة «ألوهيم» في العهد القديم لا تعني أن الكتاب المقدس يُعلّم بوجود آلهة متعددة، فالكتاب المقدس يستخدم دائمًا الصيغة المفردة

من الفعل مع كلمة إيلوهيم عند الإشارة إلى الله. (على سبيل المثال قوله: في البدء خلق (صيغة الفعل مفرد) الله (صيغة الجمع: ألوهيم) السموات والأرض. تكوين ١ : ١). والكتاب المقدس ثابت ومتوافق مع نفسه في تعليمه عقيدة الثالوث الأقدس، إذ نحن نجد في متى ٢٨: ١٩: «باسم الآب والابن والروح القدس» أن كلمة اسم (وهي تدل على المفرد في اللغة اليونانية) مستخدمة للتعبير عن الآب والابن والروح القدس، الذين يشكلون اسمًا واحدًا. وتعبير آلهة (إيلوهيم) المستخدم في مزمور ٨٢: ٦ يشير إلى القضاة اليهود الذين يفترض فيهم أن يتصرفوا «كالله» مع الشعب، بمعنى أن يكونوا عادلين ومنصفين وما إلى ذلك. ومن الواضح أنهم لم يكونوا آلهة بالمعنى الحرفي للكلمة. كذلك نجد نفس التعبير مستخدمًا في خروج ٢١: ٦؛ ٢٢: ٩، ٢٨، ويُلاحظ أن الكلمة العبرية المستخدمة هنا هي إيلوهيم (المترجمة إلى الله في اللغة العربية) مترجمة إلى قضاة Judges في اللغة الإنجليزية.

هذا هو سياق العهد القديم الذي كان يسوع يشير إليه. لماذا؟ كان يسوع على ما يبدو يسألهم: لماذا غضبوا كثيرًا لاستخدامه تعبير ابن الله. فقد عرفوا مثل هذا التعبير في الماضي، (أي إن هناك أشخاصًا سبق أن دُعوا آلهة في مزمور ٨٢). فالمسألة المطروحة أمامهم كانت كما يلي: "لا تتوقفوا عند استخدام هذا التعبير. انظروا إليّ أنا. انظروا إلى أعمالي؟ هل هي من الله؟ فإذا كانت كذلك، صدقوا ما أقوله بما في ذلك الأسماء التي أُطلقها على نفسي."

من الواضح أن يسوع لم يكن يُنكر ما سبق أن نسبه لنفسه من ألوهية. لكنه قدَّم لليهود تصريحًا شجاعًا، وتحدَّاهم أن يفحصوا أعماله ليروا إذا كانت تُعطي مصداقية لقوله: «أنا والآب واحد».

يتدرج الجدل هنا من الأدنى إلى الأعلى. إذا كان الله قد دعا أشخاصًا آلهة (بصورة رمزية)، فكم بالأحرى يكون مناسبًا «للذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم» (وهذا لا ينطبق بالتأكيد على قضاة العهد القديم) أن يدعو نفسه ابن الله، وهو الذي يعمل أعمال الله: فيقيم الموتى، ويمنح الحياة الأبدية، ويحفظ الخليقة ويُغيِّرها (محولاً الماء إلى خمر، ومهدئًا العواصف... إلخ).

كانت ليسوع معرفة محدودة

كانت ليسوع كإنسان معرفة محدودة فعندما. تحدَّث عن مجيئه ثانية قال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣: ٣٢). كما ناقشنا سابقًا، اختار يسوع في دوره كعبد أن يعيش الحياة هنا حسب الشروط والمعطيات البشرية على الأرض، واضعًا ثقته في قدرة أبيه، لا قدرته. فقد قال مثلاً: «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا» (يوحنا ٥: ٣٠)، و «الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال» (يوحنا ١٤: ١٠).

قال يسوع في هيئته كإنسان إنه لا يعرف ساعة عودته، وسبب ذلك أنه حدَّد نفسه وفرض عليها حدودًا كعبد. ليس أنه لم يكن معادلاً لله، لكن لأنه اختار بمحض إرادته ألا يمارس كل امتيازاته الإلهية.

"ليس أحد صالحًا إلا الله وحده"

اقترب أحدهم من يسوع وقال له: «أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع، لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» (مرقس ١٠: ١٧، ١٨). قد يبدو للوهلة الأولى أن يسوع بقوله هذا ينفي لاهوته، لكن واقع الأمر مختلف.. فقد كان يسوع يؤكد على أن الله وحده صالح. الكتاب المقدس واضح حول صلاح المسيح، إذ يدعوه «القدوس» و«البار» و«البرئ» و«المنفصل عن الخطاة» و«بلا عيب» (أعمال ٣: ١٤؛ ٢كورنثوس ٥: ٢١؛ عبرانيين ٤: ١٥؛ ٧: ٢٦؛ ١بطرس ٢: ٢٢؛ ١يوحنا ٣: ٥). إذًا يسوع صالح بكل مقاييس الصلاح الحقيقية، وبهذا يشترك يسوع في إحدى صفات الله- وهي الصلاح.

هناك سبب محتمل دعا يسوع لأن يقول ما قاله للرجل، ألا وهو قياس عمق وعي الرجل لهوية المسيح وشخصه، ومدى جديته تفي اتباعه. فبعد أن أعلم يسوع الرجل أنه لا صالح إلا الله وحده، طلب منه أن يبيع كل ممتلكاته ويتبعه كتلميذ. لاحظ أنه لم يقُل له: «اتبع الله»، وإنما: «اتبعني». وهكذا تنتهي

هذه الفقرة بانطباع مخالف للانطباعات الأولى لبدايتها، فهي تُدعِّم لاهوت المسيح دعمًا قويًا.

وتلخيصًا لما قيل، فإن كل الأسباب تقريبًا التي تُقدَّم لإنكار أن يسوع هو الله، تنبع من سوء فهم لرسالة فيلبي ٢: ٦-١١ التي تعلم أن ليسوع طبيعتين بشرية وإلهية.. فقد «وُجد» يسوع في هيئتين: الله (عدد ٦) وإنسان عبد (عدد ٧). يقول النص إن حالته الأولى كانت مركزًا من المساواة أو المعادلة لله، أما حالته الثانية فكانت مركزًا من الاتضاع. فكل الأعداد تقريبًا التي تستخدم لمحاولة القول بإن يسوع لم يكن معادلاً لله الآب، وأنه لذلك ليس واحدًا مع الله، تقارن يسوع في حالته المتضعة كإنسان بمركز الله المجّد في السماء. لكن الحقيقة التي يحاول القائلون بهذا تجاهلها هي أن يسوع ترك مركزه المجيد من المساواة مع الله الآب لكي يصبح إنسانًا، ويموت عن خطايا الناس، ويقوم من بين الأموات، ويُمجَّد مرة أخرى.

الفصل الثامن

هل المسيح هو الرب إلهك؟

على المرء في مرحلة ما بعد دراسة الأدلة المتوفرة بين يديه، أن يقرر ما إذا كان سيؤمن بلاهوت المسيح أم لا. يتفق معظم الذين يسمون أنفسهم مسيحيين على أن يسوع عاش، ومات، ودفن، وقام ثانية. غير أن يسوع قال: «إن لم تؤمنوا أني أنا هو Ego eimi تموتون في خطاياكم» (يوحنا ٨: ٢٤)، وكتب بولس يقول: «إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلُصت» (رومية ١٠: ٩). إذا كان المسيح إلهًا، يصبح الإيمان بلاهوته ضروريًا للخلاص، ويتضح أننا نخاطر بأشياء كثيرة إذا رفضنا الإيمان به.

أوضح «سي. إس. لويس» موضوع لاهوت المسيح عندما كتب إلى صديق متشكك اسمه «آرثر جريفر» يقول:

"أعتقد أن الصعوبة الكبيرة تكمن فيما يلي: إن لم يكن الله، فمَنْ هو؟ فقد رأيت في متى ٢٨: ١٩ عبارة: «باسم الآب

والابن والروح القدس». مَنْ هو هذا الابن؟ هل الروح القدس إنسان؟ إذا لم يكن كذلك، فهل أرسله إنسان (انظر يوحنا ١٥: ٢٦)؟ يقول الكتاب في كولوسي ١: ٧ «الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل». أي نوع من البشر هذا؟ ناهيك عن افتتاحية إنجيل يوحنا إذ يقول «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله». خذ شيئًا أقل وضوحًا بكثير عندما يبكي يسوع على أورشليم (متى ٢٣)، لماذا يقول فجأة: «أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء» (عدد ٣٤). مَنْ يمكنه قول مثل هذا الأمر إلا الله أو شخص معتوه؟ مَنْ هو هذا الإنسان الذي يتجوّل مُعلنًا غفرانه لخطايا الناس؟ أو ماذا عن مرقس ٢: ١٨، ١٩؟ أي إنسان هذا الذي يُعلن أنه نظرًا لحضوره أو وجوده، لابد من إلغاء أو تعليق أعمال التوبة مثل الصوم؟ فمَنْ الذي يستطيع تعطيل الدوام الدراسي نصف يوم غير المدير؟

يبدو لي أن عقيدة لاهوت المسيح ليس أمرًا يمكنك التخلُّص منه أو تجاهله. لكنها أمر يلوح في كل نقطة وزاوية بحيث يتوجب عليك أن تحل كل خيوط النسيج لتتخلص منه. يمكنك بالطبع أن ترفض بعض هذه الفقرات بحجة أنها غير حقيقية أو أصلية، لكني أستطيع أن أوجه نفس الإلهام للكتاب الذي تؤمن به، إذا رغبتُ في أن ألعب نفس لعبتك. عندما يقول الكتاب المقدس إن الله لا يمكن أن يُجرَّب، فإني أقبل هذا الأمر على أنه حقيقة واضحة. فلا يمكن لله، كإله، أن يُجرَّب بالشرور، كما لا يمكنه أن يموت، وقد أصبح إنسانًا حتى يعمل ويعاني ما لا يمكنه كإله أن يعمله ويعانيه كالله. ولو نزعت من المسيحية لاهوت المسيح، فما الذي يبقى منها؟ فكيف يمكن أن يكون لموت إنسان واحد كل هذا التأثير على جميع الناس، وهو الأمر المُعلن على مدى العهد الجديد؟"

هذا هو جوهر الموضوع.. فلا يمكن لإنسان واحد أن يُحدِث أي تأثير خاص على كل البشرية. الله الابن وحده هو الذي يستطيع التكفير عن خطايا كل الجنس البشري، ولا يمكن لأي بديل جزئي أن يقوم بهذه المهمة ويرضي الله الآب.

يعتمد فداءنا، وهو النقطة الجوهرية التي ترتكز عليها المسيحية، على كون المسيح لا إنسانًا فحسب، لكن الله أيضًا. لقد اختار «حَمَلُ فِصْحِنا» أن يكون خروفًا من القطيع حتى يتعذب ويُصلب ويموت ويدفن. الله الآب غير مؤهل لأن يكون أخًا لنا، لكن ابنه يستطيع ذلك.

يقول كثير من الذين ينكرون لاهوت المسيح إن أمورًا كالثالوث الأقدس وطبيعة المسيح «مستحيلة» أو «غير معقولة».. ويقولون: «لا يمكن أن يُصلب الله لأنه روح، ولا يمكن أن يقدّم الله نفسه لنفسه، ولا يمكن أن يولد الله». كل هذه الاعتراضات تتجاهل حقيقة التجسد، وأن الابن هو الذي قدّم نفسه للآب، وأن كل شيء مستطاع لدى الله.

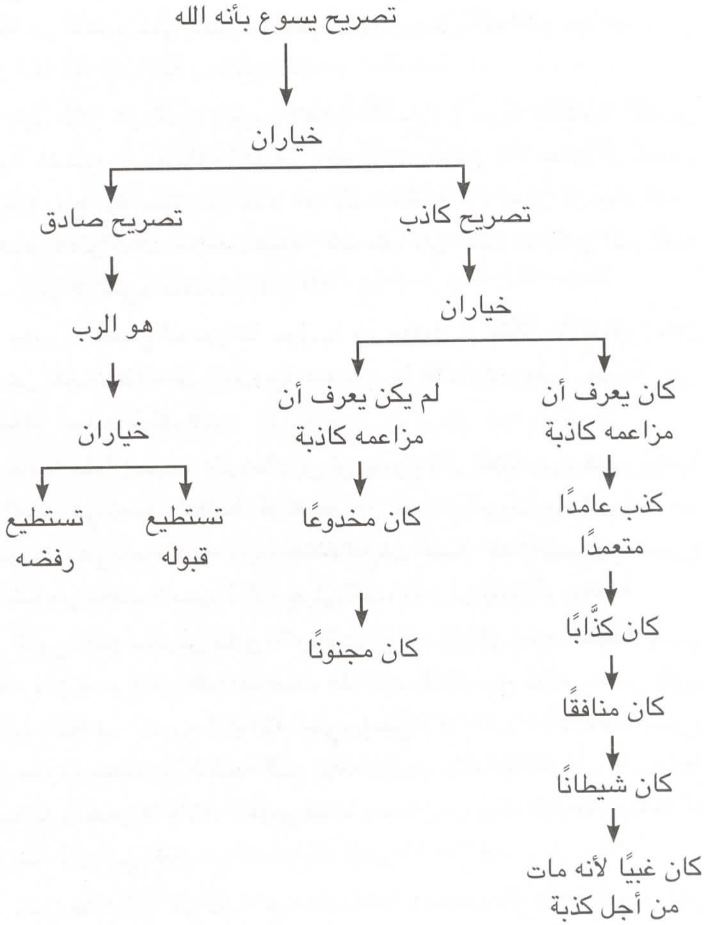
يجب ألا نسمح لتصوراتنا حول ما هو معقول أو ممكن أن تحكم إعلان الله عن نفسه؛ فالمسألة المطروحة هنا هي ما قاله الله، وليس قدرتنا على استيعابه استيعابًا كاملاً.

عندما نقرأ البشائر الأربعة نرى أن يسوع أثار ثلاثة ردود فعل رئيسية بين الناس في زمنه: البغضة، أو الذعر، أو العبادة. لم يكن بإمكان أحد من الناس أن يبقى محايدًا بعد سماعه لأقواله عن نفسه. فقد أعد يسوع المسرح لكل شخص بحيث لا يعود أمامه خيار ثالث، فإما أن يقبله أو يرفضه.

انتهى الأمر ببطرس الذي أنكره ثلاث مرات إلى أن يموت شهيدًا بسبب قناعته بأن يسوع هو الله المتجسد. عندما سأل المسيح بطرس عمن يكون أجاب، «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (متى ١٦: ١٦). لم يستجب يسوع لقول بطرس بتصحيح النتيجة التي توصّل إليها، وإنما بالاعتراف بشرعيتها وصحتها ومصدرها قائلاً: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، فإن دمًا ولحمًا لم يُعلن لك، لكن أبي الذي في السموات» (متى ١٦: ١٧).

كثيرًا ما أطلق على توما لقب «الشكاك» لأنه شك في قيامة يسوع، لكن

بعد أن قدَّم له المسيح نفسه دليلاً قاطعًا على قيامته من بين الأموات صرخ توما معترفًا بالمسيح الرب مُقدمًا له العبادة قائلاً: «ربي وإلهي» (يوحنا ٢٠: ٢٨). ومنذ ذلك الوقت اختبر أشخاص كثيرون عبر القرون صراعًا مُتشابهًا عندما وقفوا أمام سؤال يسوع: «مَنْ تقول إني أنا؟» تواجهنا مشكلة صوّرناها في الشكل التالي:



لمزيد من الإيضاح حول الشكل السابق- اقرأ كتاب «برهان يتطلب قرارًا» (الفصل السابع)، وكتاب «مزيد من البراهين التي تتطلب قرارًا» (الفصل الثاني). ولمزيد من الأدلة التاريخية المؤيدة للاهوت المسيح، اقرأ كتاب «عامل القيامة». كل هذه الكتب من تأليف جوش ماكدويل أحد مؤلفي هذا الكتاب.

تُرى.. ماذا عنك؟ ماذا تظن في المسيح؟ هل أنت متدين فقط، أم لك علاقة شخصية مع الله الحي من خلال ابنه يسوع المسيح؟ هناك أدلة كافية لدعم اعتقاد المرء بلاهوت المسيح للأشخاص المستعدين أن يتخذوا قرارًا. بعد أن صرخ توما «ربي وإلهي» أجاب يسوع قائلاً: «لأنك رأيتني آمنت! طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠: ٢٩).

الفصل التاسع

كيف اكتشف الكاتبان الحياة الجديدة في المسيح؟

بارت لارسون

بدأت تساؤلاتي حول أهمية المسيحية -أكثر من مجرد النظام العادي لمدرسة الأحد- كطفل عندما كنت أشاهد الواعظ المشهور بيلي جراهام. كنت حتى ذلك الحين قد حكمت على معظم المسيحيين بأنهم منافقون أو غريبو الأطوار. لم تكن أي من هاتين الصيغتين جذابة. وعندما استمعت إلى الدكتور جراهام وهو يعظ، أحسست بأن قلبي سينفجر. فعلى الرغم أني كنت غير موضوعي (متأثرًا بمشاعري وأفكاري الشخصية)، أحسست بحضور الله في الغرفة معي.

كانت إحدى الأفكار التي عبَّر عنها الدكتور جراهام هي أن الله مُطلق النقاء والطهارة والبر، وأننا نحن البشر خطاة (أي إننا كلنا تمردنا على الله بطريقة إيجابية وسلبية ولم نصل إلى مقياس كماله). لقد كانت حالتي كحالة ذلك القاتل الذي مَثُلَ أمام القاضي للمحاكمة، فقال مُدافعًا عن نفسه: "لكن انظر يا سيدي القاضي إلى كل الناس الذين لم أقتلهم!" عرفت أننا كبشر نقف مذنبين ملومين أمام إله قدوس بار، وأننا إذا ذهبنا إلى السماء بدون تغيير أساسي في طبيعتنا، فسنلوثها ونُفسدها.

شعرت بالذنب على الرغم من محاولتي الشديدة لإنكار ذلك وإبعاده عني، فأنا لم أعش حسب مقاييسي الخاصة ناهيك عن مقاييس الله. قال الدكتور جراهام إن الذهاب إلى الكنيسة ليس كافيًا. فدخول الكنيسة لا يجعل من الإنسان مسيحيًا (تمامًا كما لا يجعلك دخول جراج سيارات سيارة)، وإنه حتى يصبح الإنسان مؤمنًا بالمسيح يحتاج إيمانًا حيًا فعالاً لا إيمانًا سلبيًا.

نستطيع أن نُقرِّب مفهوم الإيمان الحي الفعَّال بأن نضرب مثلاً توضيحيًا عن لاعب سيرك تمكّن من العبور فوق شلالات نياجرا على حبل رفيع حاملاً على ظهره كيسًا من الرمل يزن خمسين كيلوجرامًا. بعد أن أنهى محاولته بنجاح، سأل أحد المتفرجين: "هل تؤمن أني أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى؟" أجاب المتفرج: "أنا متأكد من ذلك"، فرمى لاعب السيرك كيس الرمل عن ظهره وقال له: "إذًا أركب على ظهري ودعني أحملك."

الإيمان الحقيقي هو أكثر بكثير من مجرد الموافقة العقلية على المبادئ المسيحية.. إنه الاستعداد للركوب والمخاطرة بحياتنا، وأي شيء أقل من ذلك ليس "إيمانًا" بالمعنى الكتابي للكلمة.

ذات مرة سمعت قصة عن قاضٍ أُحضرت ابنته إلى محكمته بتهمة تجاوز السرعة أثناء القيادة، وفرض عليها القاضي أكبر غرامة ممكنة أدهشت جميع الحاضرين. لكن بعدما نطق القاضي بالحكم نزل من على كرسي القضاء، وأخرج محفظته، ودفع الغرامة عنها. وهكذا أرضى الرجل كلاً من القانون المُطالب بالعدالة وقلب الآب المُحب. شرح الدكتور جراهام ما سبق وأن فعله

الله في شخص يسوع.. فقد نزل، وتنازل، وأصبح إنسانًا ليموت من أجل الجنس البشري لأنه أحبنا.

أضاف الدكتور جراهام أنه علينا أن نكون مستعدين للاعتراف بخطيتنا وقبول غفران الله لنا من خلال الإيمان بموت المسيح وقيامته من أجلنا. لا يمكننا أبدًا أن نعمل لكسب هذا الغفران أو دفع ثمنه، فهو هبة يمكننا أن نقبلها أو نرفضها.

أجّلت موضوع إيماني بالمسيح لعدة سنوات، وكان أحد أسباب ذلك هو أنه مرّ عليّ وقت طويل قبل أن أقابل مؤمنين حقيقيين بالمسيح أحترمهم. وكان هناك سبب آخر وهو أني كنت مرتبكًا بالنسبة لما يتوجب عليّ أن أفعله لكي أصبح مؤمنًا بالمسيح. أخيرًا جاء ذلك اليوم عندما شرح لي أحد الوعاظ المتكلمين، على انفراد في جو خالٍ من إمكانية الإحراج، كيف يمكنني أن أصبح مؤمنًا بالمسيح. كنت قد رفضت في الماضي فرصًا أخرى أفسدتها إمكانية الإحراج، فقد خشيت ألا أعرف ما يجب أن أفعله وأن أظهر بمظهر الأحمق.

وهكذا صليت بهدوء وأنا جالس في أحد المقاعد في اجتماع في مدرسة ثانوية في مدينة توبيكا في ولاية كانساس، وطلبت من المسيح أن يدخل حياتي. ومما أثار دهشتي العظيمة أنه فعل ذلك، ووجدت سلامًا لم أعرفه من قبل. واختفت مشاعر الذنب، وفاض قلبي بفرح جديد، وصار لي هدف أحيا من أجله. لقد دُهشت وسعدت لاستجابة الله لدعائي، واكتشفت أنه مهتم بي.

كنت أحيانًا أحس حتى كمسيحي أني كطفل موضوع في سلة متروك أمام عتبة الله، وأنه لم يكن لله، بصفته الله المحب، أي بديل عن قبولي وإدخالي. أما الآن فأعرف أن هذا غير صحيح؛ لأن الله هو الذي اختارني بدافع محبته العظيمة (أفسس ١ : ٤، ٥) وهو يقول لجميع الراغبين في القدوم إليه: "تعالوا".

ولا يسعني كشخص يهتم بك وعرف محبة الله إلا أن أُشجعك، عزيزي القارئ، على ألا تبقى محايدًا. فالله يحبك، وقد أثبت ذلك عندما أصبح إنسانًا ومات من أجلك. وهذا هو غرض تجسد المسيح ولاهوته، وهو السبب الذي من أجله اشتركت مع جوش ماكدويل في تأليف هذا الكتاب.

جوش ماكدويل

لقد بدأتُ بداية فكرية محاولاً تفنيد الكتاب المقدس بوصفه وثيقة تاريخية موثوقة، والقيامة بوصفها حدثًا تاريخيًا حقيقيًا، والمسيحية بوصفها خيارًا لحياتنا. وبعد أن جمعت الأدلة والبراهين التي تضمَّنت كتبي على بعضها، وجدت أنه لا مفر من استنتاج أن كل حُججي لا تصمد أمامها، وأن يسوع المسيح هو ابن الله تمامًا كما قال عن نفسه.

أدت النتيجة التي توصلت إليها حول إمكانية الوثوق تاريخيًا في الكتاب المقدس وشخص المسيح إلى صراع شديد بيني وبين نفسي. كان عقلي يقول لي إن كل هذا صحيح، لكن إرادتي كانت تسحبني في اتجاه آخر. اكتشفت أن الاختبار الذي يجوز المرء حتى يصبح مسيحيًا مؤمنًا يمكن أن يكون اختبارًا يهز الكيان.

كان الإحساس بالذنب والخطية واضحًا في حياتي، فقد وضع يسوع المسيح تحديًا مباشرًا أمام إرادتي: هو أن أضع ثقتي فيه مُخلصًا لي، ذلك المخلِّص الذي مات على الصليب من أجل خطاياي. كانت الدعوة التي وجهها لي هي: «هاأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه» (رؤية ٣: ٢٠).

«وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يوحنا ١: ١٢). لم يكن يهمني أنه مشى فعلاً على الماء أو حوّل الماء إلى خمر. فأنا لا أريد شخصًا مثله يغزو حياتي ويُفسد عليّ استمتاعي بالحفلات. لأنني إذا دعوته إلى دخول حياتي، فستكون تلك أسرع طريقة للقضاء على الاستمتاع بالوقت، والقضاء على سعيي لإشباع طموحي الذهني، وإعاقة قبول زملائي وأقراني لي كباحث.

وهكذا وصلت إلى نقطة كان عقلي يقول لي إن المسيحية صحيحة، بينما إرادتي تقول من ناحية أخرى: "لا تعترف بذلك". وفي كل مرة كنت في رفقة هؤلاء المؤمنين المتحمسين السعداء، كان الصراع يحتد. فإذا وُجدت مع أشخاص فرحين في الوقت الذي تكون فيه تعيسًا، ضايقك هذا الأمر كثيرًا. ولقد ضايقني هذا الأمر إلى درجة أني كنت أنهض وأركض هاربًا من الغرفة.

وصل بي الأمر إلى أني كنت أذهب إلى الفراش الساعة العاشرة ليلاً دون أن أتمكن من النوم قبل الرابعة صباحًا. عرفت أن عليَّ أن أُخرج يسوع من عقلي قبل أن أفقده.

بداية جديدة

كنت منفتح الذهن ومقتنعًا عقليًا، فقررت في الساعة الثامنة والنصف من ١٩٥٩/١٢/١٩ أثناء سنتي الدراسية الثانية في الجامعة، أن أتخذ خطوة الإيمان بالمسيح وأدعوه أن يدخل حياتي.

سألني أحدهم: "كيف تعرف؟"

قلت: "لقد كنت مدركًا لما يحدث.. وحدث الأمر معي أنا."

صليت في تلك الليلة.. صليت أربعة أمور حتى أبدأ علاقة مع الله، صليت من أجل علاقة شخصية مع ابنه يسوع المسيح المقام الحي. وعلى مدى فترة من الزمن غيرت تلك العلاقة حياتي.

أولاً: صليت قائلاً: "أيها الرب يسوع. أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجلي."

ثانيًا: قلت: "أعترف بكل الخطايا والأمور التي لا ترضيك في حياتي، وأطلب منك أن تغفر لي خطاياي وتُطهرني." يقول الكتاب المقدس: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج».

ثالثًا: قلت له: "والآن، حسب معرفتي، أفتح باب قلبي وحياتي لك، وأضع ثقتي فيك، وأؤمن بك مخلِّصًا وربًا. استلم قيادة حياتي، وغيّرني مبتدئًا من الداخل إلى الخارج. اجعلني ذلك الشخص الذي خلقتني لأكونه."

وكان آخر شيء صلّيته في تلك الليلة: "أشكرك لأنك دخلت حياتي بالإيمان." كان إيمانًا أتمه الروح القدس فيّ، مرتكزًا على الأدلة وعلى حقائق التاريخ وعلى كلمة الله.

ربما سمعت أشخاصًا متدينين يتحدثون عن اختبارات خارقة مرّوا بها عندما آمنوا بالمسيح، لكن شيئًا من هذا لم يحدث لي. بل إني بعد أن

اتخذت قراري، أحسست بتدهور في صحتي، ورغبة في التقيؤ. وشعرت بأني مريض.

"ما الذي ورّطت نفسك فيه يا جوش؟" أحسست بالفعل بأني أصبت بالجنون- ويوافق بعض أصدقائي على ذلك!

تغيرات

لكني أستطيع أن أؤكد شيئًا واحدًا، وهو أني اكتشفت في مدة تتراوح ما بين الستة أشهر والسنة أنني لم أجن، بل أن حياتي تغيرت.

اشتركت في نقاش مع رئيس قسم التاريخ في إحدى الجامعات، وقلت: "لقد تغيّرت حياتي"، فقاطعني بطريقة ساخرة نوعًا ما قائلاً: "هل تحاول يا ماكدويل أن تقول لنا إن الله غير حياتك في القرن العشرين، في أية نواحي حدث هذا التغيير؟"

بدأت أشرح التغيرات التي حدثت في حياتي لمدة خمسة وأربعين دقيقة إلى أن قاطعني قائلاً: "حسنًا.. كفى".

السلام العقلي: كان قلقي هو إحدى النواحي التي حدثته عنها.. فقد كنت من النوع الذي يجب أن يشغل نفسه طوال الوقت. كنت دائم الانتقاد لأصدقائي عند الاجتماع بهم، وكنت أمشي في الحرم الجامعي، بينما تدور برأسي دوامة من الصراعات. كنت أجلس محاولاً الدراسة أو التفكير، لكن دون جدوى.

لكن بعد عدة أشهر من اتخاذي قرار الإيمان بالمسيح، بدأ يتطور لديَّ نوع من السلام العقلي. وأرجو ألا تسئ فهمي، فأنا لا أتحدث عن غياب الصراع، لأن ما وجدته في علاقتي مع يسوع المسيح لم يكن غياب الصراع بقدر ما هو القدرة على التعايش معه- وأنا لست مستعدًا لأن أقايضه بأي شيء في الوجود.

السيطرة على العصبية: كانت عصبيتي من النواحي التي شهدت تغيرًا. فقد كنت أثور ثورة عارمة إذا نظر إليّ أحدهم نظرة تحدٍ أو استهزاء. وما زلت

أحمل في جسدي آثارًا من حوادث الشجار أثناء السنه الأولى في دراستي الجامعية كدت أقتل فيها رجلاً. كانت عصبيتي جزءًا عضويًا مني، حتى إنني لم أسع إلى تغييرها بشكل واعٍ.

بعد أن وضعت ثقتي في السيد المسيح، مررت بأزمة لأكتشف أن عصبيتي اختفت، ولم أفقد أعصابي خلال العشرين السنة الماضية إلا مرة واحدة.

رجل أبغضته

هناك ناحية أخرى أفتخر بها، وأنا أذكرها هنا لأن هناك أشخاصًا كثيرين يحتاجون إلى نفس هذا التغيير في حياتهم من خلال علاقة مع المسيح المقام الحي. وهذه الناحية هي الحقد، أو لنقُل المرارة.

كانت حياتي مليئة بالحقد، لم يكن هذا الأمر شيئًا ظاهرًا للآخرين، لكنه كان نوعًا من البغضة الداخلية التي تأكلني إذا أثار الناس والأشياء والمسائل ضيقي وسخطي. ومثل كثيرين غيري، لم أحس بالأمان، فكلما قابلت شخصًا جديدًا مختلفًا عني أحسست بأنه يُشكِّل تهديدًا لي.

لم أكره شخصًا كما كرهت أبي، بل واحتقرته، فقد كان سِكّير البلدة. وإن كنت قد نشأت في بلدة صغيرة، وكان أحد والديك سِكّيرًا، فلابد أنك تعرف ما أتحدث عنه.

عرفت كل البلدة أمر أبي، واعتاد أصدقائي أن يأتوا إلى المدرسة ويُطلقوا النكات حول ما يفعله والدي وسط البلدة. ربما لم يدركوا أن هذا الأمر يزعجني؛ فقد كنت أضحك من الخارج، لكني كنت أبكي من الداخل. كنت أذهب إلى الإسطبل حيث أرى أمي ممددة فوق روث البقر، بعد أن تتعرض للضرب من أبي وتصبح عاجزة عن النهوض.

كذلك عند استضافتنا للأصدقاء، اعتدت على أخذ والدي إلى مخزن الحبوب وربطه هناك، وإيقاف السيارة خلف المكان حتى لا يراه أحد. لقد كنا نقول لأصدقائنا بأنه ذهب إلى مكان ما حتى لا نُصاب بالحرج. لا أعتقد أن أحدًا يمكنه أن يكره شخصًا آخر كما كرهت أبي!

الكراهية تتحول إلى محبة

بعد حوالي خمسة أشهر من اتخاذي قرار قبول المسيح مُخلِّصًا وربًا لي، غمرت حياتي محبة لأبي- محبة إلهية من خلال يسوع المسيح. نزعت هذه المحبة حقدي وغيرتني تغييرًا تامًا، إذ كانت تلك المحبة من القوة بحيث استطعت أن أنظر إلى والدي وجهًا لوجه وأقوله له: "يا أبي، إني أحبك". وقد كنت أعني ما أقوله. ونظرًا لبعض التصرفات التي كنت قد قمت بها نحوه، هزته كلماتي.

بعد وقت قصير من انتقالي إلى جامعة خاصة، تعرضت لحادث سيارة خطير. رجعت إلى البيت بعد وضع "الجبص" حول رقبتي. لن أنسى أبدًا منظر أبي وهو يدخل غرفتي ليسألني: "يا بني، كيف يمكنك أن تحب أبًا مثلي؟" قلت له يا أبي قبل ستة أشهر كنت أحتقرك، وبعد ذلك حدثته عما توصلت إليه من استنتاجات حول يسوع المسيح، وقلت له: "لقد سمحت للمسيح أن يدخل حياتي. وأنا لا أستطيع أن أُفسر ما حصل تفسيرًا كاملاً، لكني وجدت، نتيجة لهذه العلاقة، القدرة على أن أحِب وأقبَل لا أنت فحسب، لكن كل الناس الآخرين كما هم."

بعد خمسٍ وأربعين دقيقة حدث أحد أعظم الأشياء المثيرة في حياتي. فقد قال لي أحد أفراد عائلتي، شخص عرفني جيدًا بحيث لا يمكنني أن أضع عصابة على عينيه حول حقيقتي: "يا ابني، إذا كان الله يستطيع أن يفعل في حياتي ما رأيته يفعل في حياتك، فإني أريد أن أتيح له هذه الفرصة."

عادة ما تحدث التغيرات في حياة الناس على مدى أيام أو أسابيع أو أشهر أو حتى سنوات، لكن حياة والدي تغيرت أمام عيني. كان الأمر كما لو أن أحدهم أضاء مصباحًا كهربائيًا. لم أرَ أبدًا مثل هذا التغير السريع قبل ذلك أو بعده، فلم يلمس والدي زجاجة الخمر بعد ذلك إلا مرة واحدة فقط- وصلت فيه الزجاجة إلى شفتيه دون أن يرشف منها ولو رشفة واحدة- لكنه لم يعد يحتاجها.

إنها فعّالة

لقد توصلت إلى استنتاج وحيد، وهو أن العلاقة مع يسوع المسيح تُغيّر الحياة. تستطيع بجهل أن تهزأ بالمسيحية وأن تسخر منها، لكنها ناجحة في تغيير حياة الناس. فإذا قررت أن تؤمن بالمسيح وتضع ثقتك به، ابدأ بمراقبة مواقفك وتصرفاتك لأن شغل يسوع المسيح الشاغل هو تغيير حياة الناس، وغفران خطاياهم، وإزالة الإحساس بالذنب.

القرار لك

ليست المسيحية أمرًا يمكن فرضه بالقوة على شخص أو إنزاله في حلقه رغمًا عنه. فلك حياتك ولي حياتي، وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أُخبرك بما عرفته واكتشفته. أما بعد ذلك، فالأمر متروك لك. وكما تقول زوجتي: "المسيح قام من بين الأموات، ولهذا فهو حي. ولأنه حي فهو يمتلك قدرة لا متناهية على الدخول إلى حياة أي رجل أو امرأة ويُغيّره أو يُغيّرها مبتدئًا من الداخل إلى الخارج".

فالعنصر الأساسي هو القيامة. فالمسيح قد قام.

إنها قضية شخصية

لقد حدثتك كيف تجاوبتُ مع تصريحات المسيح عن نفسه. وقد جاء دورك الآن لتسأل السؤال المنطقي التالي: "ما الذي تعنيه كل هذه الأدلة والبراهين لي؟ أي فرق سيحدثه إيماني أو عدمه بموت المسيح على الصليب من أجل خطاياي وقيامته من الأموات؟" لقد قدَّم يسوع أفضل إجابة عن هذا السؤال لرجل شك فيه، وهو توما عندما قال له: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يوحنا ١٤: ٦).

بناءً على كل براهين قيامة المسيح، واعتبارًا لحقيقة أن يسوع يعرض علينا غفران خطايانا، وعلاقة أبدية مع الله، فمَنْ هو هذا الطائش الأحمق الذي سيرفضه؟ المسيح حي، وهو حي اليوم.

تستطيع أن تضع ثقتك الآن في الله من خلال الصلاة أو الدعاء. فالصلاة هي التحدُّث مع الله. هو يعرف قلبك، ولا تهمه كلماتك المنتقاة بقدر ما يهمه موقفك القلبي. لذلك إن لم تكن قد وضعت ثقتك في المسيح في الماضي، فبإمكانك أن تفعل ذلك الآن.

كانت الصلاة التي رفعتُها كما يلي: "أيها الرب يسوع، أنا أحتاجك. أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجل خطاياي. ها أنا أفتح باب حياتي لك، وأقبلك مخلصًا لي. أشكرك لأنك غفرت خطاياي وأعطيتني حياة أبدية. أجعلني كما تريد. أشكرك لأنك مكّنتني من وضع ثقتي فيك."

عرض

إذا كنت قد وضعت ثقتك في المسيح، أو تعتقد أنك ستفعل ذلك في المستقبل القريب، أكتب لنا على العنوان التالي من أجل أي إيضاح:

حقيقة لاهوت
يسوع المسيح

ها الشمس ... في كبد السما

بدفئتها ... ونورها

وكفك الصغيرة لا تستطيع ... سترها

فهي هناك تسطع بالنور ... كي نحيا بها

لا تقدر أن تنكر حقيقة وجودها

هذي ألوهة المسيح ... ثابتة ...

هذي هي